وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة زيان عاشور – الجلفة –

كلية الآداب واللغات و العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

سياسة حمودة باشا الداخلية في تونس

1782م–1814م

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر تاريخ حديث ومعاصر

إعداد الطالبين:

تواتي محمد

عطلاوي عامر

تحت إشراف:

أ.كاكي محمد

الموسم الجامعي:

1434هـ–1435هـ

2013م–2014م

المختصرات:

1- العربيــة:

ج	جزء
ط	طبعة
ص	صفحة
ص ص	صفحات متتالية
هـ	التاريخ الهجري
م	التاريخ الميلادي
مج	مجلد
تح	تحقيق
تق	تقديم
مر	مراجعة
تع	تعليق
تر	ترجمة
د.ت	دون تاريخ نشر
م.ز	المجلــة الزيتونيــة
م.ت.م	المجلــة التاريخيــة المغربيــة

2- الفرنسية:

P	Page
Op.cit	Opère citate

شكر وتقدير:

سبحان الذي سخر لنا الكون ليكون لنا طوع أمرنا، الحمد لله الذي أنار عقولنا بالعلم وهدانا إلى نور التعلّم لنكشف بأيدينا عن بعض مغاليق هذا الوجود،الحمد لله الذي يعود إليه الفضل الأول والأخير في إنجاز هذه المذكرة وإتمام ما طمحنا إليه.

نتوجه بشكرنا الجزيل إلى أستاذنا المشرف " كاكي محمـد" الذي كان مثلنا الأعلى في العمل الجاد، وبث الإرادة القوية في أنفسنا،ومساعدتنا على إنهاء مذكرة التخرج، فمنا لك أستاذنا أسمى عبارات التقدير والاحترام، وألف شكر وشكر.

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى السيد رئيس قسم العلوم الإنسانية الدكتور: برابح محمد الشيخ والى جميع أساتذتنا الذين أشرفوا على تدريسنا طوال خمس سنوات.

إلى كل من ساهم من قريب أو بعيد، بالكثير أو بالقليل حتى ولو بابتسامة أو بدعاء إلى هؤلاء جميعا نقول ....ألف شكر.

تواتي محمـد

عطلاوي عامر

الإهداء:

إلى من قال فيهما الله عز وجل :

" وقل ربي ارحمها كما ربياني صغيرا "

أمي و أبي أهدي ثمرة جهدي

عرفانا ووفاء وبرا ...

إلى أمي الثانية زوجة والدي حفظها الله

إلى كل من كانوا عوني وسندي من أفراد عائلتي الكريمة

إلى كل الذين لم تحتويهم ورقتي واحتواهم قلبي

تواتي محمد

الإهداء:

إلى من ربياني صغيرا، وحرما نفسيهما الكثير من لذات الحياة ليوفرا لي كل الراحة قصد إكمال مشواري التعليمي أهدي باكورة بحثي إلى أمي التي لم تبخل علي بالدعاء وأبي الذي لطالما يدعو لي بالنجاح والتوفيق.

إلى كل أفراد عائلتي الكريمة وخاصة أخي الصغير حمزة عزالدين.

إلى كل الأصدقاء.

أهدي هذا العمل المتواضع.

عطلاوي عامر

مقدمة

مقدمـــة:

عرفت تونس في بداية القرن الثامن عشر اضطرابا داخليا ، بسبب الممارسات التعسفية التي قام بها الحاكم إبراهيم الشريف ضد سكان تونس أثناء فترة حكمه الممتدة من(1702-1705) إضافة إلى توتر العلاقة مع الجزائر التي وجهت له حملة سنة 1705م أسر خلالها،ونتيجة لهذا الانهزام تم تعيين " حسين بن علي بن تركي " حاكما على تونس،مما مهـد لبدء حكم الأسرة الحسينية ، وقد تعاقب على كرسي الحكم تسعة عشر أميرا من العائلة الحسينية.

وفي خضم هذه الأوضاع بدأت تبرز شخصية " حمودة باشا " الذي ساهمت الظروف في تميزه عن باقي أفراد العائلة الحسينية ، والذي بفضل سياسته تغيرت ملامح ايالة تونس خلال نهاية القرن 18م وبداية القرن 19م (1782-1814م)، ومن خلال دراستنا هذه سنحاول معالجة موضوع سياسة حمودة باشا الداخلية في تونس.

- **<u>الهدف من اختيار الموضوع</u>** :

إن من أهم الأسباب التي دفعتنا إلى اختيار الموضوع هو الرغبة الشخصية في القيام بدراسة الموضوع بعد عدة مشاورات تمت بيننا نحن أصحاب البحث مع الأستاذ المشرف الذي لفت انتباهنا نحو تونس، ونصحنا بالبحث عن المصادر و المراجع العربية التي تناولت ايالة تونس في العصر الحديث، ومن هنا بدأت الرؤية تتضح أكثر بعدما تصفحنا فهارس بعض الكتب التي تحصلنا عليها، وتكونت لدينا فكرة عن أوضاع تونس بشكل عام .

بعد اختيارنا للإطار الجغرافي الذي سنخوض فيه بحثنا،بدأنا بالتفكير في الإطار الزمني، فوقع اختيارنا على عصر " حمودة باشا " الذي امتدت فترة حكمه نحو ثلث قرن ، وهي فترة متميزة في تاريخ الأسرة الحسينية.

ومن بين الأسباب أيضا الرغبة في الخروج من دائرة المواضيع الخاصة بتاريخ الجزائر التي تتجه إليها معظم الرسائل الجامعية إلى تاريخ بلدان المغرب العربي .

- **أهمية الموضوع :**

تكمن أهمية الموضوع في أن تونس خلال فترة حكم "حمودة باشا" عرفت تطورا ملحوظا مس جميع القطاعات ، وهذا لم يكن من الفراغ وإنما كان نتيجة خطة معينة انتهجها هذا الباي ، ومن خلال دراستنا نحاول إبراز السياسة الداخلية التي انتهجها "حمودة باشا" من أجل الارتقاء بالبلاد التونسية وتحسين أوضاعها في مختلف الميادين .

- **إشكالية الدراسة :**

بعد أن تبلورت لنا فكرة البحث ، أثرنا التساؤلات التالية :

1- كيف كانت أوضاع تونس قبل مجيء حمودة باشا إلى الحكم ؟

2- ما هي العوامل المؤثرة في تكوين سياسة حمودة باشا في تونس ؟

3- ما هي المجالات التي مستها سياسة حمودة باشا ؟

4- هل نجح الباي في تطبيق سياسته ؟

5- هل عادت هذه السياسة بالمنفعة على البلاد التونسية ؟

- **الخطة المتبعة :**

للإجابة على التساؤلات السابقة توجب علينا تقسيم البحث إلى ثلاث فصول إضافة لمقدمة وخاتمة ، وقد جاءت الفصول على النحو التالي:

الفصل التمهيدي: أوضاع تونس قبيل وصول حمودة باشا إلى الحكم ، وتم تقسيم هذا الفصل إلى أربعة مباحث تناولت الأوضاع السياسية، الاقتصادية،الاجتماعية وأخيرا الأوضاع الثقافية والدينية.

الفصل الأول: تحت عنوان سيرة حمودة باشا و العوامل المؤثرة في تكوين سياسته ، والذي بدوره ينقسم إلى مبحثين:

المبحث الأول: تناول سيرة حمودة باشا، من خلال ذكر مولده، نشأته، وتوليه الحكم ووفاته.

المبحث الثاني: العوامل المؤثرة في تكوين سياسة حمودة باشا، حيث تناولنا رجال حمودة باشا ومدى اعتماده عليهم كوزرائه ومستشاريه،وأيضا محاولة الاستفادة من تجارب الدول الأخرى منها الدول الأوربية والدولة العثمانية.

الفصل الثاني : تحت عنوان مظاهر سياسة حمودة الداخلية،ينقسم إلى أربعة مباحث،المبحث الأول تطرقنا فيه إلى سياسة حمودة باشا في ميدان الحكم والإدارة،المبحث الثاني سياسة الباي في الميدان العسكري والأمني، المبحث الثالث تطرقنا فيه إلى سياسة الباي في الميدان الاقتصادي، أما المبحث الرابع والأخير فتناولنا فيه سياسة الباي في الميدان الاجتماعي والصحي والثقافي، و ختمنا المذكرة بأبرز النتائج المتوصل إليها في البحث.

الفصل التمهيدي:

أوضاع تونس قبل تولي

حمودة باشا الحكم

الفصل التمهيدي : أوضاع تونس قبل وصول حمودة باشا إلى الحكم

المبحث الأول : الأوضاع السياسية

أولا_ حكم البايات المراديين وظهور حسين بن علي:

منذ عام 1574 م صارت تونس ولاية عثمانية، وطبق عليها نظام الحكم العثماني ، وكان إلى جانب الوالي الباشا والجند ورؤساء البحر قوة أخرى لها مكانتها وهي سلطة الدايات (رؤساء الجند) والتي تغير اسمها عام 1705م إلى البايات[1] ، وفي الفترة الممتدة ما بين 1612م و 1702م، حكمت تونس أسرة البايات المرادية نسبة إلى مؤسسها مراد بك(1612م-1631م) وتلاه ابنه حمودة الذي استطاع إقرار الأمور في تونس بالقضاء على ثورات القبائل العربية وصد هجمات فرسان القديس يوحنا على السواحل التونسية، وخلف حمودة مراد الثاني الذي اشتهر بقسوته، واستمر الصراع بين أبنائه على منصب الباي حتى انتهت الأسرة المرادية بقتل جميع أفرادها، واستغل "حسين بن علي" (أنظر الشكل01،ص 64) الاضطرابات والفوضى حتى نادوا به بايا على تونس لحب الشعب له [2] .

و حسين ابن علي من جزيرة كريت[3]، قدم والده متطوعا للخدمة العسكرية في أوائل دولة بني مراد،وثبت في ديوان الجند،كان حازما ومطاعا في الجيش،تخشى الدايات توليه حكم الولاية، فكانوا يبعثونه إلى الحصون خارج العاصمة وهذا قصد إبعاده عنهم، وتزوج امرأتين تونسيتين أنجبتا له ابنيه محمد وحسين اللذان خدما في الدولة المرادية، وتدرج محمد في ولايات أعمال العربان وتزوج بنت أحد شيوخ العربان فأنجبت له ابنه عليا الذي سوف يلعب دورا هاما في أواخر عهد عمه حسين بن علي،وتدرج حسين في الخدمة في العاصمة، وتقلد عدة مناصب حتى نودي بحسين بن علي بايا على تونس بإجماع كبار الجند والدولة ووجود الحاضرة [4] .

---

[1] – لقب الباي معرب من لفظ بك في التركية ومعناه السيد العظيم ، وهو في الأصل عند الأتراك من ألقاب رؤساء الجيش و أبناء الباشوات .أنظر: محمد ابن الخوجة، **الألقاب والنعوت الملكية في البيت الحسيني**، م.ز، عدد.2، 1937، ص.227.

[2] -إسماعيل أحمد ياغي، **العالم العربي في التاريخ الحديث** ، ط.1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1997 ، ص.138 .

[3] – كانت هذه الجزيرة تابعة للدولة العثمانية إلى أن استقلت سنة 1898م ، وألحقت بعد ذلك ببلاد اليونان . أنظر : شوقي عطاء الله الجمل،**المغرب العربي الكبير في العصور الحديثة**، ط.1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1977،ص.110.

[4] - – محمد خير فارس، **تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر**،منشورات جامعة دمشق،كلية الآداب، سوريا، 200-2003، ص ص.223-224.

وهنا نرى أن "حسين بن علي " لم ينتزع العرش بالقوة مثل سابقيه من الأمراء في تونس، بل قدمت له ، حتى قيل فيه:

أتته الخلافة منقادة إليه تجر أذيالها.

فلم تك تصلى إليه ولم يك يصلى إلا لها[1] .

1-تنظيمات حسين بن علي:

دخلت تونس في عهد جديد من تاريخها، وذلك بوصول الأسرة الحسينية إلى الحكم، واستطاع "حسين بن علي" أن يضمن له ولأبنائه من بعده شرعية وراثة العرش في تونس[2]، وهذا ما أطال في عمر الدولة الحسينية التي استمرت حوالي قرنين ونصف، انتهت مع تأسيس الجمهورية التونسية سنة 1957 م [3] .

ولقد فضل الباي حسين كي يسوس البلاد أن يستعين برجال لم يتقلبوا سابقا في المناصب ويدينون له بكل شيء، من مماليك وكراغلة ومن رجال ليس لهم كبير شأن فأخرجهم من حياة الخمول ورفع من منزلتهم،ومن بين هذه الأصناف الاجتماعية التي كان الباي يطلب رفدها طلب الحريص،نشير أولا إلى "رجال الدين" أو العلماء والأولياء والصالحين،كما استعان بالأعيان[4] من أصحاب المال فأشركهم على نطاق واسع في استغلال موارد البلاد فتكونت منذ تلك الفترة،عائلات من اللزامة تتوراث المنصب أبا عن جد، وأسر من الوكلاء يديرون أملاك البايلك [5] .

عمل حسين علي على تحصين تونس للدفاع عنها ضد الجزائريين، وقد جرت بينه وبينهم مكاتبات بهذا المعنى، ولكن الجزائريين ركبوا رأسهم وواصلو زحفهم باتجاه العاصمة، ولكن الموقف انقلب رأسا على عقب لصالح حسين بن علي ذلك أن قسما كبيرا من القوات الجزائرية من عرب

---

[1] – محمد الباجي المسعودي ، **الخلاصة النقية في أمراء افريقية** ، ط.2، مطبعة بيكار، تونس، 1975، ص.115 .

[2] – شارل أندري جوليان ، **تاريخ إفريقيا الشمالية** ، تع: محمد مزالي والبشير بن سلامة ، ط.3 ، الدار التونسية للنشر، تونس، 1978 ، ج.2، ص.382.

[3] – حسن حسني عبد الوهاب ، **خلاصة تاريخ تونس** ، دار الفنون ، تونس ، 1373هـ ، ص.167 .

[4] – تعني أشراف البلد وهم الوسطاء الذين يقومون بتنظيم العلاقات بين الدولة والمجتمع في المدن والقرى .أنظر: سهيل صابان، **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية**، مر: عبد الرزاق محمد حسن بركات، مكتبة الملك فهد الوطنية،الرياض، 2000، ص.33.

[5] – محمد الهادي الشريف ، **تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال** ، تع : محمد الشاوش ، محمد عجينة،ط.3، دار سراس للنشر ،تونس،1993،ص.83 .

تونس الذين لجأوا إلى الجزائر هربا من ظلم إبراهيم الشريف وتعصبه ضد العرب، وقد رأى هؤلاء أن التغيير الذي حدث في تونس قضى على مبرر وجودهم في الجانب الجزائري، وأدى انسحاب عرب تونس من المعسكر الجزائري إلى هزيمة الجزائريين و انسحابهم [1] .

كانت مسألة الوراثة في بداية الأمر لا تهم الحسين بن علي،لأنه لم يكن له ولد من أجل السعي وراء هذا المطلب إلى غاية قدوم سفينة بحرية آتية من جنوة الايطالية إلى الشواطئ التونسية ، وعلى متنها بنت من كورسيكا أعجبته فتزوجها، وولدت منه أولادا وذكورا، وبذلك أراد توطيد حكمه ، وتثبيت أمر دولته الفتية ، وبذلك أخذ الباي في عام 1710م بجمع أهل الحل والعقد والتمس موافقتهم على أن يبقى الحكم بيد أعقابه من بعده على ترتيب سنهم، فوقعت البيعة وبذلك استمر العمل في هذه السنة بالحصول من الباب العالي على البيعة بعد وقوعها متمثلة في فرمان[2] سلطاني يؤكد على الموافقة[3].

وقد واجه حسين بن علي تآمر الأتراك الذين كانوا يتطلعون إلى تولي السلطة، يمثلهم في ذلك الداي (محمد خوجة) الذي بدأ يتجاوز صلاحياته، وبدأ الداي بالتآمر مع الأتراك لقتل حسين بن علي ، وقد كان الأخير حذرا وعلم بنوايا الأتراك، فبدأ في مجاملة الأهالي، واستمال أعيان الجند بالعطاء ، وزيادة في الحرص غادر حسين بن علي العاصمة متظاهرا بالقيام بحملة لتأديب جماعة من العربان،وتبعه أنصاره والتفت حوله القبائل،ولما تأكد الباي حسين من قوته أعلن عزل الداي محمد خوجة وعين مكانه(قارة مصطفى)،الداي السابق الذي كان قد عزلـه إبراهيم الشريف[4]، وفي هذه الأثناء أطلق الجزائريون سراح إبراهيم الشريف الذي تخلص منه حسين بن علي بواسطة جماعة من رؤساء البحر قتلوه حيلة في عرض البحر [5] .

---

[1] – محمد خير فارس،المرجع السابق،ص ص. 224– 225 .

[2] – الأمر السلطاني الرسمي المكتوب، والصادر في قضية من القضايا يماثله في المعنى حكم وتوقيع ومنشور.أنظر : مصطفى عبد الكريم الخطيب، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية** ، ط.1، مؤسسة الرسالة، بيروت،1996، ص. 164.

[3] – محمد الصالح مزالي،**الوراثة على العرش الحسيني ومدى احترام نظامها**، الدار التونسية للنشر، تونس،1969، ص.16.

[4] - ضابط تركي عينه السلطان العثماني حاكما على تونس ليضع حدا للتجربة المرادية سنة 1702م، دخل في حرب ضد حاكم الجزائر فهزم و أسر وانهار نظامه في جويلية 1705م.أنظر: محمد الهادي الشريف، مرجع سابق،ص.80.

[5] – محمد خير فارس، المرجع السابق، ص ص.225–226.

2-علاقات حسين بن علي مع أوربا:

قام حسين بن علي بإبرام عدة معاهدات مع بعض الدول الأوربية، فوقع معاهدة مع لويس الرابع عشر ملك فرنسا في 06 ديسمبر 1710م نصت على: المعاملة بالمثل بالنسبة للوضع القانوني لرعايا ملك فرنسا،وقنصلهم بتونس، وكذلك التجارة بين البلدين والنظام الأساسي لسفنهم في البحر وفي الموانئء التونسية والفرنسية، كما ضمنت عدم تعرض السفن التونسية الحربية لأي سفينة في البحر تحمل العلم الفرنسي، وكل سفينة فرنسية يهاجمها عدو تتمتع بحق اللجوء والحماية بموانئ تونس [1] .

كما أبرم الباي معاهدة مع النمسا في 23 سبتمبر 1725، و أمضاها السيد جاندي شونامي (Jeande Shonamille) ونيكولاي تايل (Nicolas de theyls)،وتنص على:احترام الذات البشرية وتحرير رعايا الإمبراطور، وتقرر إحداث قنصل إمبراطوري يتمتع بما يتمتع به أعوان القنصليات الأخرى من امتيازات، وله سلطة الفصل في النزاعات التي تحدث بين رعايا الإمبراطور،أما القضايا التي يكون فيها تركي أو عربي طرفا فيها، فتنظر فيها السلطة القضائية التونسية، كما نصت المعاهدة أيضا حق كل السفن التي تلتجئ إلى موانئ الممكلة بحماية الباي [2] .

ثانيا_عهد علي باشا:

كان علي باشا ابن أخ حسين باي(أنظر الشكل02،ص65) ، وقد عينه عمه وليا للعهد، فبقي كذلك زمنا طويلا حتى رزق الباي أولادا وفكر في توليتهم فابعد ابن أخيه عن المسؤوليات بتمكينه من وظيفة باشا فيّ أواخر سنة 1725م ، ثم شدد الباي من رقابته على الباشا الجديد لما أحس منه حقدا وعداوة ، وقد ثار علي باشا في فيفري 1728م وجر وراءه كل الناقمين في البلاد أي قسما من الطبقة الحاكمة ومن أعيان تونس و عددا من القبائل والطوائف التي لم يكن النظام يحسن معاملتها، وقد هزم علي باشا بعد عام ونصف من العمليات الحربية المضنية ففر إلى الجزائر، وعاد حسين باي إلى الإمساك بمقاليد الأمور في البلاد، لكن ذلك لم يدم طويلا،حيث

---

[1] – حفيظة بوتوقوماس،**الحياة الاجتماعية في تونس خلال العهد الحسيني 1705-1835**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2،الجزائر، 2010-2011، ص.73.

[2] – المرجع نفســه ، ص.77.

حصل علي باشا على نجدة عساكر الجزائر، وهجم على البلاد التونسية في صيف 1735م وهزم عمه ودخل تونس ونصب نفسه بايا، ولكن حسين بن علي لجأ إلى القيروان وكسب تأييد معظم الأهالي الذين يسكنون وسط البلاد من حضر وبدو، فصمد أمام ابن أخيه طوال خمس سنوات تردت البلاد أثناءها في حرب أهلية أليمة إلى أن رجحت الكفة لفائدة علي باشا وابنه يونس فانهزم حسين بن علي وقطع رأسه في شهر ماي 1740م [1] .

لما تولى علي باي الحكم أظهر تعلقا شديدا باستقلال تونس كما كانت في عهد حسين بن علي ، وقد أكد مرارا على القناصل في تونس عزمه على البقاء حرا في بلده ومن أجل رغبته تلك قطع العلاقات مع فرنسا سنة 1741 م، وقد كانت الشركة الفرنسية المرسيلية الكبيرة المسماة بالشركية الملكية لإفريقيا تخطط لاحتلال مرسى طبرقة الواقع بالشمال الغربي لتونس لسببين: الأول توسيع حجم التجارة الفرنسية بين فرنسا وتونس، وثانيا للتحكم في الباي ثم في تجارة جميع بلدان شمال إفريقيا مع أوربا(أنظر الشكل01،ص61)، فما كان من الباي إلا أن فاجأهم بالاستيلاء على طبرقة و استولى على جميع الجنويين المقيمين بالمرسى بقصد صيد المرجان عملا باتفاق سابق، و وضع بها حامية تونسية دائمة، وكانت دعواه في عمله ذلك أن الجنويين تجاوزوا المساحة المرخصة لهم للبناء وأنهم أنشأوا قلعة محصنة بها ، ثم التفت إلى المركز التجاري البحري الشهير الثاني المسمى تامكرت [2]،وكانت لبعض الشركات الفرنسية فيه امتيازات تجارية، فخربه علي باشا و أجلى عنه جميع سكانه، وحرسه بحامية أيضا [3] .

وكي يثبت علي باشا مركزه عمد إلى الاستكثار من الجند فاستخدم فرسانا من السود لحراسته سماهم البوابة و تأنق في خيلهم وسلاحهم وملبسهم،وحاكى بهم جيش "عبيد البخاري" الذي شكلهم سلطان المغرب المولى إسماعيل،كما استكثر من جلب متطوعة الترك ورسمهم في ديوان جنده،مما شكل تهديدا جديدا للحكم لما في طبيعة الأتراك من الميل إلى الاستبداد في الأمر كما هو

---

[1] – محمد الهادي الشريف،المرجع السابق، ص.84 .

[2] – تامكرت : هي قرية صغيرة كانت توجد بالقرب من طبرقة ويسميها الفرنسيون Cap Négre أي الرأس الأسود . أنظر: ج.أو.هابنسترايت، **رحلة العالم الألماني ج.أو.هابنسترايت إلى الجزائر و تونس وطرابلس(1145هـ-1732م)**، تر و تق و تع ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس ،2008، ص.10.

[3] – رشاد الإمام، **سياسة حمودة باشا في تونس 1782م-1814م**، الشركة التونسية لفنون الرسم ، تونس ،1979، ص ص. 58- 59 .

الحال في الجزائر، وقد عانى علي باشا من مشاكلهم وتطاولهم وكثرة تعدياتهم، وقد ثاروا أكثر من مرة محاولين قلب الأوضاع في تونس واستلام الأمور فيها، ولكنه بطش بهم فهرب قسم منهم إلى الجزائر وتقوى بهم أولاد حسين بن علي، واختلف علي باشا مع ابنه يونس ذلك أنه كان يريد اشتراك كل أبنائه في الحكم و كان يونس يأنف ذلك، وقد نفذ علي باشا قصده في غياب ابنه وازداد الخلاف فثار يونس سنة 1725م ولكنه فشل وهرب إلى الجزائر ولوحق أعوانه وشرد الترك عن الحاضرة فهربوا إلى الجزائر [1] .

كما بدأت علاقات علي باشا مع الجزائر بالتدهور منذ سنة 1735م وهي السنة التي جاءت فيها عساكر صاحب الجزائر إلى تونس لتمهد له السبيل إلى العرش لكن كبرياء علي باشا وصرامته في كل ما يتعلق بشؤون السيادة من جهة ومطالبة أتراك الجزائر إياه بدفع ضريبة سنوية واللهجة الآمرة التي كانوا يخاطبونه بها من جهة أخرى ، أدت مجتمعة إلى المصادمة ثم إلى القطيعة بعد سنة 1740م ، فقد تحركت في سنة 1746م للمرة الأولى حملة جزائرية في اتجاه مدينة تونس ولكنها أخفقت أمام أسوار مدينة الكاف ، ثم إن حملة أخرى بعد ذلك بعشر سنين أفضت إلى احتلال تونس و إلى إقصاء علي باشا عن الحكم وتعويضه بمحمد وعلي ابني عمه حسين بن علي في سبتمبر 1756 م [2] .

ثالثا_عهد محمد الرشيد بن حسين بن علي:

باشر الحكم محمد الرشيد(أنظر الشكل03،ص66) الابن الأكبر للحسين بن علي سنة 1756م [3] ، و اطمأنت الأنفس وقرت العيون بعود الدر إلى معدنه وجلس محمد على كرسي المملكة فزانه بعدله وإحسانه وكان من سمحاء الملوك وصدور الأدباء وفحول الشعراء له ديوان شعر بديع وقصائد نبوية وتوسلية تدل على حسن وثوقه بالله و أوليائه أما قصيدتاه الميمية والقافية فهما غاية في الإبداع وقد سمى أولاهما محركات السواكن إلى أشرف الأماكن ومطلعها:

---

[1] – محمد خير فارس ، مرجع سابق ، ص ص. 228–229 .

[2] – محمد الهادي الشريف ، مرجع سابق ، ص.86 .

[3] – Mohamed Seghir Ben youssef ,**Chronique Tunisieene** , traduis par Victore Serres et Mohammed lasram ,2 éme ed,Bouslama ,Tunis , 1900, p.238.

هل زورة تشفى فؤاد متيم يا أهل مكة والحطيم وزمزم

وشرحها قاضي محلته وأستاذه الشيخ محمد بن محمد الشافعي الشريف بجزئين ضخمين التزم في شرح كل بيت منها خمسة فنون: اللغة والنحو والمعاني والبيان والبديع فهو شرح مشحون علما وأدبا أما القصيدة القافية فشرحها الشيخ صالح الكواش[1] ، و كانت أيامه على قصرها وتوفي في جمادى الثانية 1172هـ ورثاه الشيخ محمد الورغي المذكور بقصيدة مطلعها:

هذا ضريح للإمام الأمجد فخر الملوك السيد ابن السيد [2].

رابعا_عهد علي باشا بن حسين بن علي:

بعد وفاة محمد الرشيد،اجتمع أهل الحل والعقد على بيعة أخيه الأمير علي باشا(أنظر الشكل04،ص67) الذي كان عمره أكثر من 47 سنة عندما تولى العرش [3] ، ولما تمت له اصطفى لمجلسه العلماء ودخل في زمرتهم مع ماله من الذكاء والمشاركة في العلوم وحب المحاورة وملازمة رواية صحيح البخاري بنفسه يستحضر للمبيت عنده كل ليلة طائفة من العلماء للمسامرة على العلم وسرد الكتب المهمة والمحاورة فيها،وكثيرا ما يورد عليهم المشكلات و الإشكالات من توقفاته ويديرون في ذلك كؤوس محاضراتهم ومحاوراتهم ويجزل عطاء المجيد منهم، وقد شاد من المباني والمفاخر ما بقي ذكره، وأقام مكتبا لتجويد القرآن العظيم لصق جامع والده وأسس بيوتا لإيواء الفقراء من الرجال والنساء وإطعامهم وكسوتهم وفراشهم وأوقف على جميع ذلك أوقافا مهمة أجرى بها التعاليم والصدقات الجارية وعطل الخمر وهدم الحانات و أجرى كثيرا من السقايات، وأقام الجسور، وجدد كثيرا من الزوايا والمساجد، وبنى المباني الباذخة [4] .

---

[1] – ولد في ربيع الأول من سنة 1137هـ (نوفمبر–ديسمبر 1724م) ، وسبب لقبه هذا أن والده كان يحترف بكوشة، حفظ القرآن وأخذ عن كبار علماء عصره ، انتفع به الناس انتفاعا بقي أثره، وشاع خبره، وصار وجهة للسائلين ، ومناخ رحال الطالبين . أنظر: أحمد ابن أبي الضياف، **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، مج.4، الدار العربية للكتاب، تونس، 1999، ج.7،ص.44.

[2] –محمد بن محمد مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية** ، المطبعة السلفية ومكتبتها،القاهرة، 1350هـ،ج.2، ص.166.

[3] – Mohamed seghir Ben youssef , Op.cit , p.240.

[4] – أبي عبد الله محمد بن عثمان السنوسي، **مسامرات الظريف بحسن التعريف** ، تح وتع: محمد الشاذلي النيفر،ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1985، ص.9 .

وقد دارى علي باي، وكان يتسم بالحذر، جيرانه (الجزائريين) أي السلطات التركية المنتصبة بالجزائر وأرضى كل طلباتهم و أمن جانبهم، أما مع فرنسا فقد كانت العلاقات حسنة في جملتها ما عدا تلك الحرب القصيرة التي لم تكن لها من نتيجة تذكر، والتي اندلعت سنة 1769 م عندما ألحقت كورسيكا بالمملكة الفرنسية، وكان حسن الوفاق هذا قائمة على مصالح تجارية متبادلة ومتينة والذي زاده تدعيما من الجانب التونسي انتصار الشق المسالم من بين رجال الدولة وكان (ليبراليا) و مواليا لفرنسا وكان يتزعمه مصطفى خوجة أكثر الوزراء تأثيرا و أشدهم ارتباطا بالمصالح الفرنسية [1] .

وقبل وفاته واجه علي باي مسألة الوراثة، وكان من المفروض أن يخلفه ابن أخيه أبو الثناء محمود باي لأنه أكبر أفراد أسرته، ولكن عددا من رجال الدولة أشاروا عليه بتولية ابنه حمودة باشا،وقد تردد علي باي، وكان ما يزال مائلا في ذهنه ثورة علي باشا على عمه وثورة يونس على أبيه،ثم قرر أخيرا تولية ابنه حمودة باشا [2] .

[1] – محمد الهادي الشريف، مرجع سابق، ص.87 .

[2] – محمد خير فارس، مرجع سابق، ص.232 .

المبحث الثاني : الأوضاع الاقتصادية

أولا_الزراعــة :

كانت تونس بلدا فلاحيا متخلفا منذ القرن السادس عشر تحت هيمنة البايات العثمانيين الذين تمكنوا من الإفلات من سلطة الباب العالي واستقلوا فعليا عنه ولم تعد تربطهم به سوى روابط شكلية: دفع مساهمة للجيش العثماني وتقديم هدايا بالمناسبات، وتمثل الإقطاعية النظام الاجتماعي الذي كان سائدا في تونس آنذاك، فكانت ملكية الملاك العقاري الكبير للأرض وسيطرته على المزارع تمثل قاعدة العلاقات الإنتاجية في المجتمع،وكانت تتعايش مع الملكية الإقطاعية، الملكية الفردية للفلاح المستقل والحرفي القائمة على العمل الشخصي والملكية الجماعية القائمة على الاستغلال الجماعي للأرض في جنوب البلاد خاصة، وتتشكل الطبقة الإقطاعية من أفراد العائلة المالكة ومن المماليك والوزراء والأعيان و القياد والخلفاء ورجال الدين ومشائخ القبائل والملاكين العقاريين الكبار و الأولياء ووكلاء الزوايا، وتمتلك هذه الطبقة أحسن الأراضي وأخصبها [1] .

1- أنواع الأراضي:

كانت الوضعية القانونية للأراضي كالتالي:

- أراضي البايلك (أوالباي أو الدولة).
- أراضي الملك الخاص (الشمال،المناطق التي يسكنها المستقرون كالمناطق الساحلية والواحات، أحواز المدن والقرى).
- أراضي العروش: أراض شبه جماعية على ملك القبائل في الوسط والجنوب.
- أراضي الموات: الأحراش،الجبال، المستنقعات،الأراضي المهملة منذ مدة طويلة.
- أراضي الأحباس: موجودة في الشمال و الوسط ويتمثل التحبيس في إضفاء المحبس على العقار طابعا دينيا، فيجعله حكرا على ذريته من بعده أو يحوله كليا أو جزئيا لفائدة مشروع ديني أو خيري،وحالما تحبس العقارات فيحرم بيعها أو رهنها أو حجزها [2] .

---

[1] – حمة الهمامي، **المجتمع التونسي دراسة اقتصادية واجتماعية**، ط .1، صامد للنشر والتوزيع،تونس،1989، ص.15.

[2] – الهادي التيمومي، **تاريخ تونس الاجتماعي 1881 –1956**، ط.2 ، دار محمد علي الحامي، تونس، 2001 ، ص.23.

2- تقسيم المنطقة التونسية:

كانت كل منطقة مختصة في إنتاج أنواع معينة من المحاصيل الزراعية، وفي هذا الصدد نجد القطر التونسي ينقسم إلى 03 أقسام رئيسية وهي كما يلي:

- **الجهة الشمالية :** التي تكثر فيها الجبال ، وهي الأكثر خصوبة على مرور السنين،فالمزارعون في هذه الجهة يربحون في كل سنة من مزروعاتهم، مثلا منطقة الساحل التابعة لسوسة و الأماكن القبلية.

- **الجهة الوسطى، والجهة الشرقية من الجنوب على قرب من البحر:** مثل الساحل و القيروان وصفاقس،فكانت وفرة المحصول من عدمه مرتبطة بكمية الأمطار المتساقطة،وفي هذه المنطقة مثلا تحدث الخصوبة مرة أو مرتين في عشر سنوات،وتلك الخصوبة تكون كبيرة وتعود بالخير على الايالة.

- **الجهة الجنوبية:** المعروفة بالجريد،فهي غير صالحة لزراعة الحبوب،لأنها أراضي رملية وقريبة من الصحراء الكبرى،ولا تصب فيها الأمطار إلا نادرا و إذا صبت فإنها تضر بالنخيل[1].

3- تشجيع الحكام التونسيين للزراعة:

عندما تولى الباي حسين بن علي باي الحكم قام بتشجيع الفلاحة،وساعد على الزراعة ذلك بتخفيف الضرائب، وهذا من أجل تحسين وضع بلاده وتسهيل الوسائل التي اعتمدها عرب الأرياف لفلاحة أراضيهم [2]، وبتخفيفه عن الفلاحين أثقال المغارم ساعدهم ذلك على زيادة الإنتاج [3] .

كما أبطل علي باي والد حمودة باشا مظالم عظيمة كانت تحل بالمزارعين كل سنة بسبب ما يعرف بـ "المشترى" وهو مال تدفعه الدولة للمزارعين على أن يسددوه حبوبا وزيوتا في ختام موسم الحصاد وجمع الغلة، وكانت الدولة تتقاضى تلك المحصولات بثمن بخس مجحف مع ما يصاحب ذلك من عنف وشدة، هذا بالإضافة إلى ما كان أسقطه من الأداءات على المزارعين مما كان قدره الأمناء،ومن أياديه البيضاء على المزارعين وتشجيعا للفلاحة أسقط عنهم كل ما تبقى في

---

[1] -حفيظة بوتوقوماس، مرجع سابق ، ص. 90.

[2] – المختار باي ، مصدر سابق ، ص. 207 .

[3] – محمد خير فارس، مرجع سابق ، ص. 226 .

ذمتهم من ضريبة العشر[1] للدولة منذ أيام ابن عمه علي باشا و أيام أخيه، وهي مقادير كبيرة جدا من الحبوب الباقية على أربابها أسقطها عنهم دفعة واحدة [2] .

4- نظام الخماسة:

ويمثل نظام (الخماسة) الشكل الأساسي الذي اتخذه الاستغلال الإقطاعي في تونس، وكان منتشرا بصفة خاصة في الشمال، ويمتهن الخماسة عامة أناس عليهم دين كبير وليس بإمكانهم إرجاعه، فالملاك العقاري الذي أراضي واسعة يقسمها إلى مواشي (تعد الماشية 12 هكتار) ينتدب لكل منها خماسا ويسلمه ثورين ومحراثا وكمية من البذور، ويتولى الخماس الحراثة والزراعة وجمع المحصول، وفي النهاية يحتفظ لنفسه بالخمس [3]، كما يوجد الخماس في الواحات أيضا ويقوم بتوفير الرعاية المطلوبة للنخيل و أشجار الفاكهة و الخضروات، و نادرا ما تكون حصته الخمس حيث تختلف حصته مع الأنواع التي تحصد مثلا: الربع بالنسبة للفواكه و السبع للتمور و الثلث للحبوب والخضروات [4].

ثانيا_ الصناعة:

1- صناعة الشاشية : كانت هذه الصناعة موجودة في تونس منذ حكم الحفصيين ولكنها كانت ضعيفة،غير أن في عهد عثمان داي (1598-1610)، لما قدم اللاجئون الأندلسيون إلى تونس،أعانهم عثمان على صناعة الشاشية ، فزادت صناعتها وكثرت ثروة البلاد بسببها [5] .

وفي سنة 1724 كانت هذه الصناعة تشغل أكثر من 10 آلاف شخص، ينتجون قرابة 40 ألف دزينة في عهد حسين بن علي،كما كانت تجلب لها من الخارج الصوف المعالج من اسبانيا والقرمز للتلوين من البرتغال وغيرها من المواد [6] .

---

[1] – ضريبة شرعية تؤخذ عن المحاصيل الزراعية بنسبة واحد في العشرة وجمعها أعشار . أنظر : مصطفى عبد الكريم الخطيب، مرجع سابق ، ص.155.

[2] - رشاد الإمام ، مرجع سابق ، ص.62.

[3] – حمة الهمامي ، مرجع سابق، ص ص .14-17.

[4]–Lucette Valensi , **Fellahs Tunisiens l'économie rurale et la vie des compagnes aux 18 et 19 eme siècle** , ed mouton ,paris , 1977, p.143.

[5] – رشاد الإمام ، مرجع سابق ، ص.286.

[6] – أندري بايسونال ، **الرحلة إلى تونس (1724)** ، تر وتح : محمد العربي السنوسي، مركز النشر الجامعي، تونس، 2004،ص. 62.

2- صناعة الزرابي :

بالإضافة إلى صناعة الشواشي، كانت توجد صناعة الزرابي، غير أنها تمثل في الأساس صناعة أهلية ، إذ تقوم النساء في كل عائلة بالغسيل و الغزل والصبيغة ثم النسيج، وكانت الأشكال والرسوم تورث من جيل إلى جيل على مستوى العائلة الواحدة، أما الأدوات المستعملة فهي أدوات تقليدية: السداية العمودية و المشط الحديدي[1] .

3- صناعة العطور:

كانت الأشجار المزهرة بتونس متوفرة بكثرة و ممتازة في نوعيتها منها شجر البرتقال والورد وكان التونسيون قد استطاعوا الحصول على زهرة برتقال ذات قوة في أريجها يفوق أريج زهور برتقال مالطة الشهير،أما الورود التونسية فقد أعطت ماء الورد وعطرا لا يقلان جودة إلا بمقدار يسير عن نظيرتها المجلوبة من الهند الغالية الثمن [2] .

4- صناعة الحرير:

حيث كان لها رواج عظيم خارج القطر التونسي خاصة في الجزائر،والمغرب الأقصى،ولها معلمون عارفون بها،حيث يصنعون مناديل من الحرير تنتج بالفضة تغطي المرأة التونسية بها رأسها، كما تصنع أحزمة حريرية مزركشة بمربعات ملونة،وأحزمة الرجال،وأقمشة حريرية و الأعجزة أي خمار تتحجب به النسوة [3] .

ثالثا_التجارة :

1- التجارة الداخلية :

اهتم الحكام التونسيون بالتجارة الداخلية والخارجية و أولوا لها اهتماما خاصا وهذا لما تدره من منفعة على البلاد والعباد، كبناء أو ترميم الجسور لتسهيل عملية تنقل البضائع والسلع بين المناطق و العيون وبناء المنازل للمسافرين والمخازن والفنادق [4] و أيضا إقامة الأبراج و المحلات المحلات

---

[1] – حمة الهمامي، مرجع سابق، ص.21.

[2] – رشاد الإمام، مرجع سابق، ص.291 .

[3] – حفيظة بوتوقوماس، مرجع سابق ، ص.102.

[4] – André Raymond,**Les Grandes villes arabes à l'époque ottomane**,Sindbad,Paris, 1985,p.245.

لتأمين الطرقات مثل عين بطريق قفصة في عهد حسين بن علي في 1714م وأخرى على طريق سوسة وبناء قنطرة وادي الزرقاء وقنطرة القيروان [1] .

وقد أدى تنوع الإنتاج الزراعي والحيواني والصناعي إلى ازدهار النشاط التجاري،فأصبحت المدن التونسية مراكز تجارية هامة يأتي إليها الأهالي من مختلف جهات البلد لشراء حاجاتهم الضرورية، ومنها من يأتي إليها من الفلاحين،من أجل بيع إنتاجهم الزراعي والصناعي،وهذا ما خلق نوعا من الترابط بين المدن و الأرياف [2] .

اختص بعض سكان الايالة بالتجارة مثل سكان صفاقس وجربة الذين تعاطوا البيع بالجملة والتفصيل وانتشر الكثير منهم بالبلاد مثل بنزرت، تونس، بلاد الجريد،وكانوا يقومون بجمع منتجاتها عن طريق القوافل كالتمور من الجنوب والزيتون من الساحل والحبوب من الشمال، ليقوموا ببيعها في مناطقهم أو إلى اليهود أو الأجانب لتصديرها [3] .

2- التجارة الخارجية :

تمكنت الدول الأوربية من السيطرة على التجارة الخارجية وذلك بوفرة الأموال التي ساعدتها على الحصول على امتيازات،سمحت لها باستغلال مناطق بتونس لصالحها الخاص،وهذا ما نجده في الشركة الفرنسية التي استغلت مقاطعة رأس النيقرو أو تامكرت(Cap Négre) التي تقع في شرق طبرقة، في أواخر القرن 17، وبداية القرن 18، والذي حولته إلى مركز تجاري يشغله التجار الفرنسيون،ويتعاطون فيه تسويق حبوب افريقية، وقد كرست هذه الشركات مبالغ مالية معتبرة كي تربط اقتصاد القبائل بتجارتها،ومع تقديم الهدايا لرؤسائها من أجل بناء علاقات حسنة معهم، والحصول على المنتوجات [4] .

---

[1] – أبي عبد الله محمد بن محمد الأندلسي، **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1985، ص.243.

[2] – رشاد الإمام، مرجع سابق ، ص.277.

[3] – إبراهيم بن جمعة بلقاسم،**الاقتصاد والمجتمع في الايالة التونسية من 1861 إلى 1864**، الشركة العامة للطباعة،تونس، 2002، ص.86 .

[4] – محمد الهادي الشريف، مرجع سابق ، ص.85.

كما كانت التجارة قائمة بين تونس والمغرب الأقصى،حيث إن عدة قوافل تجارية مغربية كانت تأتي إلى تونس كل سنة،واحدة من تلك القوافل كانت تأتي من مدينة فاس ويطلق عليها التونسيون اسم " قافلة المغاربة"، كانت تجلب معها من السلع صبغة الزنجفر والنقود الذهبية والبرانس والنحاس،وتأخذ معها من تونس عدة مصنوعات أهمها الشواشي والحرير [1] .

وكانت أيضا التجارة التونسية مع بعض الدول الإفريقية الواقعة جنوب الصحراء الكبرى،وتتم عن طريق القوافل التجارية البرية في الغالب،والقليل منها يحصل عن طريق مضيق جبل طارق ثم إفريقيا الغربية،وكان الاهتمام بهذه التجارة لأنها تحتوي على مادة الذهب خاصة بعد استيلاء الجزائر سنة 1756م وفي عهد علي باي (1759-1782)على جميع ثروات تونس من ذلك المعدن وأخذوها معهم إلى الجزائر و إلى خزائن داياتهم،كما أن الجزائريين كانوا يأخذون إلى بلادهم معظم الذهب الذي تأتي به القوافل الإفريقية إلى تونس،فأثر على سك العملة الذهبية بالبلاد،كما زودت تلك القوافل تونس بالعبيد الذي كان يقام له سوق بيوم الجمعة في مكان مخصص يطلق عليه سوق البركة،وكانت تصدر إلى داخل إفريقيا الأجواخ،الكتان،الموسلين، الحرير الخام،المنسوجات،الجلود الجاهزة لصناعة الأحذية،مواد البقالة وصبائغ مختلفة لصباغة الحرير ومن هذه الصبائغ فقط كانت تونس تصدر ما يزيد عن50 قنطارا إلى داخل إفريقيا [2].

[1] – رشاد الإمام ، مرجع سابق ، ص.320 .

[2] – نفسه ، ص ص.222-224.

المبحث الثالث : الأوضاع الاجتماعية

كان المجتمع التونسي كغيره من المجتمعات الأخرى يتكون من عدة فئات منها:

أولا_جماعة الحضر: وهي جماعة تضم العناصر الأولى في القطر التونسي الذين يعرفون بالبلدية، والتي ترعرعت فيه عبر المراحل التاريخية المتعاقبة،وقد نظر هذا العنصر بحذر إلى الوافدين لاختلافهم عنهم في الطباع والأخلاق واللغة، وكان الشعور السائد عند هذا العنصر أنه لا يقل أهمية عن هذه العناصر الدخيلة، وأنه وارث لحضارة الحفصيين،وتونس تعودت منذ قديم الزمان على التأثيرات المختلفة لكنها كانت دائما تحافظ على شخصيتها [1] .

ثانيا_الأندلسيون: هم الموريسكيون الذين طردوا من الأندلس على اثر حركة الاسترداد الايبيرية، وأهم موجة مهاجرين وقعت في بداية القرن 17م،عددهم بعض الآلاف،وقد أعطوا دفعا هاما لقوى الإنتاج في البلاد (الفلاحة المسقية،صناعة الشاشية) وللموسيقى(المالوف) وللحضارة في تونس بصفة عامة [2]، وهم خليط من العرب،البربر،القوط والفندال،ومن لفظ الفندال جاء لفظ الأندلس،فكانوا عنصرا جديدا امتزج بالعنصر التونسي، ومازالت وفود الأندلس يتواردون على شمال إفريقيا ومنها تونس،إلى أن كان الجلاء الأخير لعامة المسلمين باسبانيا في سنة 1607م وفي السنة بعدها،ومن بقي منهم هناك جبروه على التنصر بالقوة القاهرة [3].

ويمكن أن نميز منهم ثلاث مجموعات:

1- الطبقة الخاصة أو الصفوة من الأثرياء والعلماء وذوي الكفاءات المختلفة،وقد سمح لهم بالإقامة في أحياء معينة بالعاصمة تونس مثل: حومة الأندلس.

2- طائفة الصناع و أرباب الحرف،وقد استقروا في مراكز عمرانية حول الحاضرة تونس مثل:أريانة، طبربة، وواصلوا نشاطهم الحرفي وأعمالهم في هدوء واطمئنان.

3- قوامها الفلاحون،الذين كانوا يمثلون السواد الأعظم من المهاجرين وتركزوا في المناطق

---

[1] - حفيظة بوتوقوماس، مرجع سابق، ص.128.

[2] - الهادي التيمومي، مرجع سابق،ص.19.

[3] -محمد ابن الخوجة، **صفحات من تاريخ تونس** ، تق وتح : حمادي الساحلي و الجيلاني بن الحاج يحيى، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص.226.

الزراعية والريفية حول تونس أين تكثر البساتين، كما تجمع قسم منهم في سهول وادي مجردة جنوب غرب تونس والمنطقة الساحلية الواقعة شرقي بنزرت، كما نزلت جماعة منهم في المناطق السهلية العامرة قرب البدو وعاشوا مع السكان الأصليين في المنطقة المعروفة بالوطن القبلي،مثل قرى سليمان،قرنبالية،زغوان،نيانو وبلي،وبعضهم أسس مراكز عمرانية جديدة ذات طابع أندلسي على أنقاض المدن الرومانية القديمة مثل تستور ومجاز الباب والسلوقية وقلعة الأندلس وهي مدن وقرى تتميز بوقوعها في مناطق وعرة المسالك اختيرت خصيصا لحماية أنفسهم من غارات القبائل العربية الرحل التي كانت تنهبهم وتسلب ثرواتهم [1] .

ثالثا_الأتراك: نجدهم خاصة في تونس العاصمة والمهدية،وهم من الضباط وكبار الأعيان، وكانوا يحتقرون السكان الأصليين ولا يتزوجون منهم إلا نادرا [2].

رابعا_الكراغلة: وهم الذين يولدون في البلاد من أم تونسية وأب تركي،ويتمتعون بما يتمتع به آباؤهم من الامتيازات ، وقد كان لهم وبلا استثناء حق التمتع براتب منذ الولادة علاوة على امتيازات أخرى عينا أو نقدا يحصلون عليها بمناسبة قيامهم بخدمة ما،وكانوا جميعا يعتبرون أنفسهم من طينة أسمى وكثيرا ما كانوا يقابلون الرعايا سكان البلاد الأصليين بالاحتقار والتعدي على أرزاقهم [3] .

خامسا_اليهود: يعيشون أساسا من التجارة وخاصة من تجارة المال التي يستنكف أغلب المسلمين من ممارستها لأسباب دينية ، وينقسمون إلى طائفتين،طائفة (التوانسة) وهم الذين جاؤوا البلاد منذ القدم ، وطائفة (القرانة) وهم الذين جاؤوا حديثا من أوربا،وأغلب (التوانسة) فقراء، بينما أغلب (القرانة) أغنياء ويحملون الجنسية الايطالية،ويعيش اليهود في أحياء متميزة تسمى "الحارات" (جمع حارة) .

سادسا_ الأوربيون: بعض الآلاف خاصة في تونس العاصمة،وهم تجار ومرابون ميسورون (فرنسيون وايطاليون) لكن هناك أيضا من بينهم من كانوا فقراء(مالطيون وصقليون) [4] .

---

[1] – حفيظة بوتوقوماس، مرجع سابق، ص.131.

[2] – الهادي التيمومي، مرجع سابق، ص. 18 .

[3] – محمد الهادي الشريف، مرجع سابق، ص.70.

[4] – الهادي التيمومي، مرجع سابق، ص .19.

سابعا_ سكان الأرياف: كانوا يعيشون في قبائل متفرقة،فكانت القبائل المقيمة في المنطقة التلية تعتمد في حياتها اليومية على الزراعة نظرا لخصوبة التربة ووفرة المياه، أما القبائل المنتشرة في الهضاب والصحراء فكان نشاطها يتمثل أساسا في تربية المواشي، وقد عرفت هذه القبائل انتعاشا اقتصاديا حيث اتصفت من بين المناطق الخاصة بالتطور والازدهار، كما وطدت علاقاتها فيما بينها وبين المناطق المجاورة لها،وبالرغم من خشونة طباع هذه القبائل ونزوعها إلى العنف والخراب فهي قبائل أكثر تحضرا وتطورا من نظيراتها في الايالات العثمانية الأخرى،ولا ننسى أنها ورثت منذ القرون الماضية الكثير من مكتسبات الحضارات الراقية التي تعاقبت على البلاد [1].

كانت هذه القبائل تنقسم إلى صفين في الشمال والوسط : الصف الحسيني والصف الباشي، ويعود هذا الانقسام إلى الحرب الأهلية بين حسين بن علي وابن أخيه علي باشا في الفترة ما بين 1735م و1740م .

1- **الصف الحسيني:** الهمامة، جلاص، دريد، نفات ... الخ.

2- **الصف الباشي:**السواسي،أولاد سعيد،أولاد عيار ،ونيفة،الفراشيش،ماجر ،المثاليث ... الخ [2] .

[1] - حفيظة بوتوقوماس ، مرجع سابق ، ص. 137.

[2] – الهادي التيمومي ، مرجع سابق ، ص.21.

المبحث الرابع : الأوضاع الثقافية والدينية

أولا_التعليم بجامع الزيتونة:

يعد جامع الزيتونة بتونس أقدم المعاهد العربية الثلاث الموجودة بشمال إفريقيا (أنظر الشكل01، ص 62) ، والمعهدان الآخران هما: جامع القرويين بفاس، والجامع الأزهر الشريف الذي لا يقل عدد طلبته عن 14 ألف تلميذ، أما جامع الزيتونة فيبلغ عدد تلامذته 03آلاف طالب وتلامذة الكلية الزيتونية خاضعون لنظام شديد الوطأة، لا يعرفون غير المطالعة والقراءة من الصباح إلى المساء،هذا وقد ذاق جامع الزيتونة مرارة الهوان أثناء احتلال الأسبان لتونس وحلق الوادي، فقد نقل المؤرخون أن عساكر الاسبان مزقوا كتب الجامع كل ممزق، وداسوها بسنابك خيولهم خلال شوارع تونس [1] .

بديهي أن جامع الزيتونة من أقدم معاهد العلم بتونس، فقد أثبت التاريخ أن العلوم كانت تقرأ به في المائة الثالثة ولكن لم يكن حالها منتظما، وهكذا استرسل الأمر إلى قيام دولة بني أبي حفص ، وفي عهدهم رسخ تدريس العلم بجامع الزيتونة، وتشعشعت أنواره بفضل ما أضافوا له من خزائن الكتب الجامعة،قالوا : أن تلك الخزائن كانت تحتوي على نحو 36 ألف مجلد في المائة الثامنة [2] .

و التعليم بجامع الزيتونة أساسه القرآن و السنة، أما القرآن فهو كلام الله الذي نزل به جبريل الأمين على قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وبه يؤمن المسلمون قاطبة، وأما السنة، فهي مجموع الأحاديث النبوية الواردة في الصحاح، وهي شاملة لسيرة رسول الله،ولتاريخ حياته، والمقصد من التعليم بالجامعة الزيتونية هو تعليم أبناء المسلمين ما لهم وما عليهم، وهذا التعليم ينقسم لفرعين كبيرين، تعليم علوم الشريعة، وتعليم العلوم الوضعية،أما علوم الشريعة فهي: تفسير القرآن،القراءات،الحديث،التوحيد،الفقه،الفرائض وأما العلوم الوضعية فهي: النحو، اللغة، المعاني،

---

[1] – محمد ابن الخوجة ، مصدر سابق ، ص ص.288–289.

[2] -محمد ابن الخوجة ، **تاريخ معالم التوحيد في القديم والجديد** ، تح وتق:الجيلاني بن الحاج يحيى وحمادي الساحلي،ط.2،دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1985، ص.83.

البيان، الأدب،الشعر، المنطق، التاريخ،الجغرافية،الحساب وغير ذلك وكل واحد من هذين التعليمين يجري في 03 درجات: ابتدائية،وسطى وعالية [1] .

إلى جانب جامع الزيتونة توجد (الكتاتيب) في الزوايا وفي الديار التي يتولى فيها التعليم (المؤدبون) الذين يقتصر تدريسهم على تحفيظ القرآن و تلقين المبادئ الأولى للقراءة والكتابة [2] .

ثانيا_المدارس التعليمية:

أما عن المدارس فقد ظهرت بتونس كل من:

1- المدرسة الشماعية: سميت كذلك نسبة لسوق الشماعين الذي كان حولها في أوائل الدولة الحفصية ، ثم صار اسمه سوق السبابطين في الدولة المرادية، وهي من حسنات الأمير أبي زكرياء يحيى بن الشيخ أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص، وذلك سنة 623هـ (1235م) ، وقد تداعت أحوالها في أولخر العهد الحفصي، فتداركها الداي " أحمد خوجة" بتجديد عمارتها في سنة 1057هـ(1647م) على عهد الدولة المرادية .

2- المدرسة التوفيقية : هذا اسمها المهجور المعروفة به في كتب التاريخ، وأما اسمها المشهور فهو مدرسة (جامع الهواء) ، أحدثتها الأميرة عطف زوجة الأمير أبي زكرياء يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص، وأم السلطان أمير المؤمنين محمد المستنصر بن أبي زكرياء وكان ذلك في سنة 650هـ(1252م)[3] .

3- مدرسة سيدي يحيى : هذه المدرسة واقعة بدرب العسال،أحدثها العارف بالله الشيخ يحيى السليماني مع جامعه الذي بناه سنة 747هـ(1346م) وهي من الأوقاف الخاصة في تصرف ذرية مؤسسها وليس عليها لجمعية الأوقاف غير النظر العام الشامل لمجموع الأوقاف الخاصة .

4- المدرسة المنتصرية: أسسها السلطان محمد المنتصر الحفصي، ومات قبل إتمامها سنة839هـ(1435م) فأتمها أخوه السلطان أبو عمرو عثمان في سنة 841هـ(1437م) ووقف

---

[1] - محمد ابن الخوجة ، **صفحات من تاريخ تونس** ، مصدر سابق ، ص.291.

[2] – حمة الهمامي،مرجع سابق،ص.23.

[3] – محمد ابن الخوجة ، **تاريخ معالم التوحيد في القديم والجديد**، مصدر سابق ، ص ص. 285-288.

عليها أوقافا واسعة،ورتب بها دروسا للعلم، و ممن أقرأ بها في زمنه الشيخ أحمد القسنطيني قاضي الأنكحة بتونس، وقد وقع تجديد عمارتها على عهد الأمير علي باي المرادي في سنة 1090هـ(1679م) [1] .

ثالثا_ اهتمام الحكام بالعلوم:

ودائما في الميدان الثقافي نذكر حسين بن علي الذي عني بالثقافة العربية الإسلامية، وقد نشط هو وأولاده من بعده الثقافة العربية و الإسلامية، فقربوا إليهم العلماء، وأكثروا من فتح المدارس، وبرزت سلسلة من المؤرخين كالوزير السراج [2] صاحب " الحلل السندسية في الأخبار التونسية" وكان معاصرا لحسين بن علي و مقربا منه [3] .

كما أن الحياة العلمية بتونس رأت ازدهارا عظيما في عهد علي باشا والد حمودة باشا، فقد بنى عدة مدارس و أجرى على العلماء المدرسين الرواتب العالية ومنح الطلبة إعانات كثيرة دائمة، سواء منهم كان في العاصمة أو خارجها،وبلغ اهتمامه بتشجيع تحصيل العلم حد إعفاء الطلبة من الخدمة العسكرية [4] ، ومن بين أشهر الكتاب والمؤرخين حمودة بن عبد العزيز الذي كان أيضا وزيرا خاصا للباي،وقد أرخ لتاريخ تونس ولتاريخ حكومة الباي علي [5] .

رابعا_ الحياة الدينية:

أما في الحياة الدينية فقد عاد ظهور المذهب الحنفي بتونس من جديد ، عندما تم الفتح العثماني بها على يد الوزير (سنان باشا)،وأخذ مركزه في المقدمة لأنه كان مذهب ولاة الأمر، فالترك أمة حنفية وهم أهل الحل والعقد [6]، لزمهم بحكم الضرورة اتخاذ بيوت للعبادة تقام بها الصلوات على قواعد مذهبهم كما هو الحال في جوامع السادة المالكية – وهو مذهب جمهور الشعب– وكان المسلمون يومئذ محافظين على صلواتهم،وعمارة المسجد من أعظم القربات،

---

[1] – نفسه ، ص .295 .

[2] – هو محمد بن محمد بن أحمد الوزير المشهور بالسراج ، الأندلسي الأصل، ولد بتونس سنة 1659م و أخذ العلم عن مشايخ جامع الزيتونة ، وقد اختاره الباي حسين بن علي لوظائف متعددة منها التدريس بجامع الزيتونة. أنظر: محمد محفوظ ، **تراجم المؤلفين التونسيين** ، ط.1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1986، ج.5، ص.138.

[3] – محمد خير فارس ، مرجع سابق ، ص.227.

[4] – رشاد الإمام ، مرجع سابق ، ص.35.

[5]– J.Henry Dunant ,**Notice sur la régence de tunis** ,imprimerie de jules , paris ,1858,p.143.

[6] – محمد ابن الخوجة، **القضاء الشرعي** ، م.ز، العدد.3، 1939،ص.242.

فكان أول جامع اتخذه الأتراك لإقامة الشعائر على المذهب الحنفي،هو جامع القصبة، لوقوعه بمقر حكمهم ، وحوله مساكنهم ومعسكراتهم (أنظر الشكل02، ص63)، وجامع القصبة هو ثاني جامع بني بتونس بعد جامع الزيتونة، وبالتالي تضاعفت أعداد المتمذهبين بمذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة إما بالولادة ، وإما بقدوم أفراد آخرين من الأتراك على تونس، فنظروا عندئذ في تحويل جامع الزيتونة من المذهب المالكي إلى المذهب الحنفي، ولكنهم رجعوا عن هذه الفكرة، واكتفوا بتحويل جامع القصر، وكان مسجدا مالكيا، فجعلوه جامع خطبة على المذهب الحنفي، ثم توسع الأتراك في إيجاد جوامع حنفية أخرى بالإنشاء [1] .

أما إقامة الشريعة و إجراء أحكامها وتنفيذها على كل أحد والوقوف عند حدودها في جميع ما يجري بين الناس في الدماء والقصاص والأنكحة وسائر العقود والمعاملات، فأمر اختص به المغرب عن سائر البلدان،واختصت به تونس عن سائر المغرب، فقد كان القضاة يردون من الآستانة،ولا هم للعثمانيين إلا جمع الدراهم لأنهم يلتزمونها التزاما بالمال لطلب الفائدة كما هو الشأن في سائر المملكة العثمانية، ثم يرهقون الناس بما يأخذونه منهم على ما يكتبونه من الأحكام في الرسوم المحتاجة إلى حكم القاضي وعلى تقسيم التركات بين الورثة بل على مجرد موت مورثهم و استحقاقهم الميراث،وفي زمن علي باشا قام بإبطال هؤلاء القضاة الواردين من الآستانة،وأقام قاضيا حنفيا من قبله، منفذا للأحكام، ورسم له أن لا يأخذ من أحد شيئا إلا ريالا وربع ريالا على ما يكتبه بخطه من الأحكام في الرسوم ليس غير [2] .

[1] – محمد ابن الخوجة ، **تاريخ معالم التوحيد في القديم والجديد**، مصدر سابق،ص. 156.

[2] -حمودة بن محمد ابن عبد العزيز، **الكتاب الباشي**،تح: الشيخ محمد ماضور،الدار التونسية للنشر، 1970،ص ص.225-226.

الفصل الأول:

سيرة حمودة باشا و العوامل المؤثرة في تكوين سياسته

الفصل الأول: سيرة حمودة باشا و العوامل المؤثرة في تكوين سياسته

المبحث الأول: سيرة حمودة باشا

أولا_ مولده:

هو الأمير أبو محمد حمودة بن علي بن حسين بن علي تركي [1] ، ولد ليلة السبت 18 ربيع الثاني 1173هـ / 08 ديسمبر 1759م (أنظر الشكل 05،ص68)، وتسمى أمه محبوبة وهي جارية قرجية[2] تزوجها والده (علي باشا) في الجزائر[3]، وكان لحمودة باشا أخوان وخمس أخوات هم : محمد باي ولكنه توفي، والثاني عثمان باي، أما الأخوات فاثنتان منهن تزوجتا الوزير الأول مصطفى خوجة، والثالثة تزوجت محمود باي (حكم تونس من تاريخ مقتل عثمان باي إلى سنة 1824 م)، والرابعة منهن كانت زوجة إسماعيل كاهية[4]، أما أخت حمودة باشا الخامسة فقد فضلت التبتل والعزوبة على التزوج [5] .

ثانيا_نشأته:

اعتنى والد (حمودة باشا) بتربيته، فقرأ ما تيسر من القرآن، وضم إليه إمامه الفقيه العالم أبا محمد حمودة باكير، فأخذ عنه ما يلزم من الفقه الحنفي وعلم الكلام، و أخذ عن العلامة الكاتب أبي محمد حمودة بن عبد العزيز ما يلزم من النحو والحساب والتاريخ، وتعلم اللغة التركية نطقا وكتابة ، اكتسبها بالتعلم والمخالطة [6].

عندما أنهى (حمودة باشا) تعلمه وبلوغه سن الثامنة عشر زوجه أبوه يوم 05 أكتوبر 1776م من ابنة الإمام المفتي أبي عبد الله محمد،وقد أقيمت الولائم والأفراح العظيمة بالبلاد شارك فيها

---

[1] - أبي عبد الله محمد بن عثمان السنوسي، مصدر سابق ، ص.10.

[2] - قرجية : نسبة إلى القرج أو الكرج (kurdj) ، وهي بلاد تقع بين جبال القبج من الشمال و أرمينية وإيران من الجنوب، واسمها مشتق من نهر الكير (cyrus) ، وهي إقليم القوقاز حاليا ، أنظر : رشاد الإمام ، مرجع سابق ، ص.67.

[3] - أحمد ابن أبي الضياف ، مصدر سابق ، ج.3، ص.11.

[4] – أصله من القرج ، نشأ في خدمة الباي أبي محمد حمودة باشا، اتصف بالحياء والصدق ، والعفاف وكرم النفس ، انتقل إلى الدار الآخرة في (ماي–جوان 1864م) ، أنظر: المصدر نفسه، ج.8، ص.135.

[5] – M.Thomas Magigill, **Nouveau Voyage a Tunis** , traduit de l’anglais avec des notes par M.ragueneau ,paris ,1815,p.24.

[6] – أحمد ابن أبي الضياف ، المصدر السابق ، ج.3،ص.11.

رجال الدولة والأعيان والقناصل ، وقد أنجبت له زوجته عدة أولاد، لكن لا أحد منهم كتبت له الحياة ، إذ توفوا جميعا وهم صغار السنة، ومن بين أبنائه (محمد) الذي ولد يوم 28 نوفمبر 1791م، وعاش إلى أن أصبح عمره حوالي ثماني سنين ونصف حيث توفي يوم 08 جوان 1800م، وقد تأسف (حمودة باشا) كثيرا على موت ابنه الوحيد الذي عاش لتلك السن حتى انقطع عن مقابلة الناس وامتنع عن الأكل مدة إلى أن أصابته حمى كاد أن يموت بسببها[1] .

عندما أراد والد حمودة باشا تقديم خليفة لملكه أجمع نصحاء الدولة على اختياره ، فأرسل إلى الدولة العثمانية بطلب تقديم ولده المذكور فأسعفته بذلك ، فأحضره والده بالديوان وقلده الولاية وتمت بيعته سنة 1191هـ/1777م، ووفدت عليه الوفود بالتهاني من كل فج [2] .

ولما توفي أبوه في الثامن عشر جمادى الثانية 1196هـ (31 ماي 1782م)، تجددت له البيعة من وزراء أبيه، ومن الغد حضر العلماء و أهل المجلس الشرعي و أكابر الجند و أعيان الحاضرة ، وجددوا له البيعة العامة [3].

عمل (حمودة باشا) على استمالة أبناء عمه محمد الرشيد باي، ليضمن ولاء أخطر المنافسين الشرعيين له، فكان محمود باي هو أول من بايع الباي الجديد، كما اهتم لأمر ابن عمه إسماعيل بما يقدمه له من الخيرات والعطف، وبهذا استطاع اكتساب أفراد العائلة ، ولا يشك في شرعية مطالبتهم بعرش تونس، ثم اتجه إلى إخوته اللواتي أغدقهن بالحب والعطف، وكان يكاتبهن بخط يده ، حيث يؤكد لهن استعداده الدائم لقضاء حوائجهن و السهر على مصالحهن [4] .

ثالثا_مظهره وصفاته:

كان حمودة باشا طويل القامة، متناسب الأعضاء، جميل الطلعة حسنها، أنيق المظهر، سيماء محياه تحمل طابع الرقة وملامح الذكاء وبعد النظر، وتحمل أيضا ملامح خصوصية

---

[1] – رشاد الإمام ، مرجع سابق ، ص. 69.

[2] – أبي عبد الله محمد بن عثمان السنوسي ، مصدر سابق ، ص.10.

[3] – أحمد ابن أبي الضياف ، المصدر السابق ، ج.3،ص.11.

[4] – حفيظة بوتوقوماس ، مرجع سابق، ص.53.

تدل على النبالة و الأصالة والسمو ، وهي سيماء زادت في امتياز أنماط تصرفه وفي طرق تعابيره ، كما كان يميل إلى الأناقة حيث يحب ارتداء الألبسة النادرة النوع والباهظة الثمن[1] .

ومن صفاته ما ذكره لنا أحمد ابن أبي الضياف بقوله : ((... هو عماد البيت، وبيت القصيد، وفريدة السلك، المعدود من مفاخر هذا القطر، ثاقب الفكر، قوي الحزم ، صادق العزم، ثابت الجنان، أبي الضيم، غيورا على الوطن، محبا لأهله، عارفا بمنازلهم، متألفا بهم، يغلب عقله هواه ، لا يأنف من المراجعة، يقيل العثرة ويعفو عن الزلة، جماعا للمال، متلافا له في أوقات الحاجة، بعيدا عن السرف متجافيا عن دواعيه، مولعا باستكثار الجند من الترك والالتحام بهم والتودد إليهم، عظيم المهابة في قلوب الناس ...)) [2] .

كما وصفه لنا أيضا السنوسي أبي عبد الله محمد بن عثمان قائلا : ((... وكان شهما حازما غيورا، عالي الهمة، عزيز النفس أبي الضيم حاميا للذمار، غير متحمل للعار، خبيرا بسياسة البلاد، نصوحا لها، حسن التدبير ،محبا للعلماء والصالحين، يباشر المهمات بنفسه مقتصدا في شخصياته، حافظا لأموال المسلمين عن غير مصالحهم، لا تأخذه في الحق لومة لائم ...))[3] .

اشتهر حمودة باشا بمحافظته على كلمته ووفائه بعهوده ، وقد بلغ تمسكه بهذه الصفة إلى حد الصفح عن بعض المخالفين ، من ذلك مثلا أنه حصلت حرب بحرية بين تسعة سفن حربية تونسية و الأسطول الجزائري سنة 1811م انهزم التونسيون خلالها بسبب خيانة الرياس للقبطان التونسي الذي أستشهد في الواقعة ، طلب أولئك الرياس الأمان من الباي فأعطاهم إياه لعدم علمه بالخيانة ، وعندما أتى الرياس إلى ميناء تونس العاصمة ، سمع حمودة باشا أنهم خانوا فاغتاظ الغيظ الشديد لأمرين ، الأول الخيانة و الثاني كونه أمنهم و لم يسعه أن ينقض عهده [4] .

لقد تعلق الباي حمودة بالحياة العسكرية في وقت مبكر حيث لم يتجاوز عمره عشرين سنة، وهذا بسبب توليه قيادة المحلة العسكرية التي كانت تجمع الضرائب في مختلف أنحاء البلاد،وتعمل

---

[1] – رشاد الإمام ،مرجع سابق ، ص.70.

[2] – أحمد ابن أبي الضياف ، مصدر سابق ، ج.3، ص.12.

[3] – أبي عبد الله محمد بن عثمان السنوسي ، مصدر سابق ، ص.12.

[4] – رشاد الإمام ، مرجع سابق ، ص .91.

على توفير الأمن والاستقرار، وهذا ما أكسبه خبرة ودراية بأمور الجيش [1] .

لقد ساعدت تلك الحياة العسكرية على إبراز صفة الشجاعة و الإقدام لدى حمودة ، وهي الصفة التي ظهرت أكثر ما يكون عندما قاوم بمفرده سنة 1792م ثلاثة من مماليك القصر بباردو [2] حين تآمروا على اغتياله خلال نومه ، وقد استطاع في الظلام الدامس أن ينجو منهم وتمت مقاومته لهم بمقدرة لا تتوفر إلا للقادة العسكريين، وتجلت شجاعة حمودة أيضا من خلال صموده الصلب في حرب البندقية لتونس (1784م–1792م) ، ومن ومواقفه الشجاعة كذلك توليه سنة 1807م قيادة الحملة التونسية الثانية بنفسه في حربه على الجزائر، ولم يقبل التراجع عن قراره إلا بعد نصيحة رجال الدولة له بعدم ترك العاصمة كإجراء يتعلق بالمصلحة العليا للدولة [3].

رابعا_ وفاة حمودة باشا:

لم تزل البلاد التونسية ينمو عمرانها ، ويكثر سكانها ، ويعظم شأنها ، إلى أن فجعت بوفاة حمودة باشا ليلة عيد الفطر ، يوم الجمعة من سنة 1229هـ (16 سبتمبر 1813م) ، فحزنت البلاد لفقدانه ، بعد حوالي ثلاثة وثلاثين سنة وثلاثة أشهر قضاها في الحكم [4] ، ولقد رثاه الشيخ إبراهيم الرياحي بقوله :

حكم المنية نافذ الأحكام ... والدار ما جعلت بدار مقام

كم فتت كبدا وكم أبكت دما ... ولرب عرش ثل بع نظام

ولربما هان المصاب وفيك يا ... حمودة جلل على الأيام

يفنى الزمان ورزء فقدك حادث ... يتلى على الأفواه والأقلام [5]

---

[1] – كمال مايدي، **علاقات تونس مع دول أوربا الغربية المتوسطية وتأثير البحرية فيها في عهد حمودة باشا من 1782م إلى 1815م** ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ ، جامعة غرداية ، الجزائر، 2011–2012، ص .41.

[2] – لفظ باردو محرف عن لفظ (برادو) في اللغة الاسبانية ، ومعناه مرج ، والمرج في كتب اللغة هو الأرض الفسيحة ذات النبات الكثير ، ولما آل أمر الايالة التونسية لحكم البيت الحسيني اتخذوا منازل لهم في باردو ووسعوا في أبراجه . أنظر: محمد ابن الخوجة ، **كرسي الملك الحسيني** ، م.ز، العدد.1،1936، ص. 200 .

[3] – رشاد الإمام ، مرجع سابق ، ص .85.

[4] - أحمد ابن أبي الضياف ، مصدر سابق ، ج.3 ، ص. 88.

[5] – أبي عبد الله محمد بن عثمان السنوسي ، مصدر سابق ، ص.12.

المبحث الثاني: العوامل المؤثرة في تكوين سياسة حمودة باشا

أولا_أهليته:

إن إشارات تميز حمودة باشا وإعداده لولاية العهد كانت منذ ولادته، حيث لقبه والده بالباشا، ليس على حساب ابن عمه محمود باي، وإنما على شقيقه سليمان، الذي عانى من مشاكل صحية أدت إلى وفاته في رجب 1179هـ/ ديسمبر 1765م، وهذا أحد العوامل التي تفسر أولوية حمودة باشا للحكم [1].

بدأ حمودة باشا يمارس بعض شؤون السلطة منذ أن كان شابا صغيرا لا يتجاوز عمره السادسة عشر، وذلك بتوليه الحكم في القضايا المعروضة على محكمة الباي منذ عام 1774م، وفي عام 1777م تولى قيادة المحال كل سنة بنشاط ومقدرة ونجاح لم يسبقه إليها أحد من أسلافه، وظل متوليا عليها كل سنة إلى أن تخلى عن ذلك سنة 1807م، وفي هذه السنة أيضا (1777م) تولى نيابة عن أبيه في مباشرة أمور البلاد و أحكامها ، غير أن الأوامر تصدر مختومة باسم والده، وأصبح يوقع مع أبيه على المعاهدات منذ سنة 1781م، وقد برزت أهليته على حقيقتها منذ أن تولى العرش سنة 1782م [2] .

ثانيا_ دور رجال البلاط:

1- تأثير الوزراء :

أ- مصطفى خوجة:

أصل هذا الوزير من بلاد القرج،جاء صغيرا لخدمة أحد البايات،سكن بالمدرسة الباشية بالقرب من جامع الزيتونة،حيث تعلم بعض مبادئ العلوم،سادا رمقه بصناعة تسفير الكتب، ثم أتى به الباشا علي بن حسين، ولما رأى منه النجابة والأمانة أولاه خطة خزندار[3]،وزوجه من ابنته، فماتت في عصمته، ثم زوجه بأختها، وقد نشأ حمودة باشا في كفالة هذا الرجل[4] .

---

[1] – كمال مايدي ، مرجع سابق ، ص. 46.

[2] – رشاد الإمام ، مرجع سابق ، ص ص. 95-96.

[3] – لقب للذي يتولى خزانة السلطان أو الأمير،تتكون من كلميتن: خزانة وهي مايخزن فيه المال ،ودار ومعناها ممسك، والمقصود بها ممسك الخزانة،أنظر: محمد أحمد دهمان،**معجم الألفاظ التاريخية في العصر االمملوكي**، دار الفكر،دمشق، 1990، ص.68.

[4] – أحمد ابن أبي الضياف، مصدر سابق ، ج.7، ص.38.

في أواخر أيام علي باشا، قام هذا الأخير بالموافقة على طلب مصطفى خوجة والمتمثل في تسريحه لأداء فريضة الحج ، وعند رجوعه وهو في ميناء حلق الوادي علم بنبأ وفاة سيده علي باي ، فقال متشائما:((لو بلغني نعيه، وأنا بالإسكندرية ما قدمت حتى أنظر الحال .)) ، غير أن تخوفات الوزير من تولي حمودة باشا عرش تونس كانت في غير محلها ، فقد أسند إليه حمودة باشا معظم السلطات التي كانت موكلة إليه في عهد الباي الراحل، وبذلك رجع للوزير مقامه الأول في الدولة ورجع له نفوذه وسلطته ومكانته كما كانت في السابق[1] .

لقد ازداد نفوذ مصطفى خوجة بعد زواجه من الأخت الصغرى للباشا ، ومنذ أن كان حمودة باشا وليا للعهد في فترة أبيه (1777م-1782م) كان يستشير الوزير الأول في الأمور ليقرر فيها، ومن مظاهر تأثير الوزير في سياسة الباشا ، اهتمامه بالمصالح الفرنسية في تونس، والعمل على خدمتها بتقديمها على مصالح الدول الأوربية الأخرى، وما يؤكد ذلك رسالة الشكر التي أرسلها وزير الخارجية الفرنسي إلى مصطفى خوجة ، التي أشاد له فيها عن دوره لإرساء العلاقات الطيبة بين البلدين ، وقد تكرر هذا العرفان بالجميل للوزير في عدة مناسبات [2] .

ومن الأحداث التي تبين مدى ثقة الباي بهذا الوزير ، إبقائه نائبا عن الباي بالعاصمة ، حيث خرج الباي سنة 1784م بالمحلة إلى داخل البلاد لسببين هما : أولا ليفرض هيبته على باي مدينة قسنطينة الجزائرية ويلزمه باحترام سيادة باي تونس واستقلاله، حيث طلب باي قسنطينة من حمودة باشا دفع مبلغ كبير من المال بدون أي حق،والسبب الثاني هو تحصيل الجباية من مختلف جهات البلاد،وقد اصطحب حمودة معه خمس بايات كان سن كل واحد منهم ورتبته في العائلة الحسينية تؤهله للقيام بانقلاب على حمودة أثناء غيابه عن العاصمة،وأطلق على هذه المحلة (محلة الخمس بايات)،أما الشخص الوحيد الذي أمنه حمودة ووجد فيه الأهلية ليستخلفه على العاصمة فقد كان وزيره مصطفى خوجة،الذي باشر أمور الدولة في تلك الأثناء بسياسة ولين[3].

---

[1] – رشاد الإمام ، مرجع سابق ، ص.101.

[2] – كمال مايدي ، مرجع سابق ، ص. 58.

[3] – رشاد الإمام ، مرجع سابق ، ص ص. 107-108.

وقد ظل الوزير مصطفى خوجة في منصبه إلى أن وافته المنية عصر يوم الجمعة 22 جمادى الأولى 1215هـ / 10 أكتوبر 1800م ، وقد استاء الناس لفقدانه ، ودفن في تربته بتونس [1].

ب- يوسف خوجة:

هو الوزير الشهير بأبي المحاسن يوسف خوجة صاحب الطابع[2] ، أصله من مسلمي البغدان، جلب إلى تونس بصفته مملوكا ، ونظرا لذكائه وإخلاصه تدرج في المناصب إلى أن أصبح أحد الركائز التي يعتمد عليها حمودة باشا في حكمه ، وبعد وفاة الوزير تقلد يوسف خوجة الملقب بصاحب الطابع منصب الوزير الأول ، وأصبح يدير منصب شؤون الوزارة ، وبدأ يوسف خوجة يقوم بإجراء المفاوضات مع الدول الأوربية ، واضعا مصلحة تونس فوق كل اعتبار ، ومن هنا استمد قوة الحكم [3] .

اعتمد الباي على وزيره في كثير من الشؤون الهامة ، أنجزها الأخير على أكمل وجه ، وأهم الأعمال التي أنجزها الوزير وتدل على تأثيره في سياسة الباي :

- تعريض نفسه لخطر الموت لإنقاذ الباي من محاولة اغتيال قام بها بعض مماليكه وهو نائم في القصر، حصل ذلك ليلة 8 /9 فيفري 1792م ، ولم يكن لحمودة باشا أن يفلت من الذبح لولا نجدة يوسف صاحب الطابع له ، حين شعر يوسف بأن شيئا غير اعتيادي يحدث داخل غرفة نوم الباي،فما كان منه إلا أن كسر الأقفال ودخل معهم في عراك، وهو يصرخ للحرس،إلى أن هب هؤلاء مع بعض رجال الدولة،وأنقذوا الباي ووزيره من موت محقق،وبهذا ازداد حب حمودة باشا ليوسف، واعترف له بفضله [4] .

- ومن مظاهر تأثير هذا الوزير على حمودة باشا،ضغطه عليه لإرسال حملة ضد الثائر علي برغل الذي استولى على الحكم في طرابلس الغرب الجديد، وطرد علي باشا القرمانلي منها وقد لجأ

---

[1] - أحمد ابن أبي الضياف ، مصدر سابق ، ج.7، ص.39.

[2] - سأله حمودة باشا :((هل تحسن الطبع ؟)) ، وعندما أجابه المملوك يوسف بالإيجاب ، قال له : ((مهما أتت المكاتيب ، تقدم لطبعها .)) ، ومن يومئذ لقب بيوسف صاحب الطابع ، أنظر : رشاد الإمام ، مرجع سابق ، ص .111.

[3] - كمال مايدي ، مرجع سابق ، ص. 59.

[4] - رشاد الإمام ، مرجع سابق ، ص. 116.

الأخير إلى باي تونس،كما قام بعدها بالاستيلاء على جزيرة جربة التونسية [1] ، لكن سرعان ما رد حمودة باشا الفعل فلم يكتف باسترجاع جربة، بل وجه جيشا قويا من 40 ألف مقاتل نحو طرابلس فاسترجعها وأعادها إلى عائلة القرمانلي [2].

جـ- حمودة بن عبد العزيز:

كان هذا الوزير من أكابر رجالات دولة علي باي والد حمودة باشا، وأنه مؤلف كتاب التاريخ الباشي الذي أرخ فيه سيرة ذلك الباي، وقد كان ابن عبد العزيز أحد كبار علماء تونس و أستاذ حمودة باشا ومعلمه، وكان وظيفة التدريس تلك أولى درجات سلم ارتقاء ابن عبد العزيز في رتب الدولة [3] .

وقد وصفه صاحب الإتحاف بقوله : ((... كان من أفراد العلماء و أعلام الكتاب ، وفريدة عقد ذوي الألباب و الآداب، وتاريخه الباشي الذي ألفه في مدح مخدومه،أعظم شاهد له بالبلاغة والبراعة في فن الإنشاء ... وله في العلوم الشرعية والعقلية القدم الراسخ واليد الطولى،وكان فصيح اللسان،ماضي القلم،عذب المجالسة،آية الله في المحاضرة ...))[4] .

جعل علي باي من ابن عبد العزيز رئيسا للكتاب ، وأطلق عليه لقب (وزير في قلم الإنشاء) ولما تولى حمودة باشا عرش تونس أبقى ابن عبد العزيز في منصبه ، وكلفه بتدريب الوزير يوسف صاحب الطابع على سياسة الأعمال والعمال عندما كان في أول عهده بخدمة الدولة، بعد ذلك حصلت تطورات و أحداث انتهت بنبذه ثم موته سنة 1787م،وعلى الرغم من قصر تلك الفترة فقد كانت حافلة بالأحداث التي أثرت في سياسة الباي، من ذلك أنه أحدث قانونين: الأول غير به ما كان معمولا به في الجباية، والثاني سن فيه نظام المشارطة المالية للولاة داخل البلاد، وقد اعتمد حمودة باشا كلا القانونين في تنظيم الجباية، غير أن سن هذين القانونين وجعلهما قيد التنفيذ أثار معارضة الوزير الأول مصطفى خوجة و أشعل نار الخلاف بينهما [5] .

---

[1] – كمال مايدي ، مرجع سابق ، ص. 60.

[2] – شوقي عطاء الله الجمل ، مرجع سابق ، ص.112.

[3] – رشاد الإمام ، مرجع سابق ، ص. 126.

[4] -أحمد ابن أبي الضياف ، مصدر سابق ، ج.7، ص. 23.

[5] – رشاد الإمام ، مرجع سابق ، ص. 126.

د- سليمان كاهية الثاني:

أصل هذا الرجل من بلاد القرج ، ونشأ في خدمة حمودة باشا ، ولازمه ملازمة الظل ، وتدرج في الخدمة إلى أن صار آغة وجق باشا ، ثم سافر بالمحال صيفا وشتاء ، في ذي الحجة من سنة 1221هـ (فيفري-مارس 1807م) فأمن الطرقات ، وضرب على أيدي البغاة ، وحمد في ذلك أثره ، وبقي خبره [1] .

كما أن دخول تونس في الحرب ضد الجزائر تحت قيادة يوسف صاحب الطابع سنة 1807م، وهي الحرب التي انتصرت فيها تونس انتصارا باهرا [2]، تعد من أهم الأعمال التي قام بها سليمان كاهية في عهد حمودة باشا، ومما يدلنا على أهمية هذا الوزير وعلى تأثيره في سياسة حمودة باشا،عندما علم داي الجزائر بخبر وفاة حمودة باشا،سأل الداي إن كان سليمان كاهية مات أيضا، وهذا دليل على أهميته ومكانته في الدولة [3] .

هـ- محمد خوجة:

هو الوزير أبو عبد الله محمد بن محمد خوجة، نشأ بين يدي أبيه، وتعلم القرآن وما يلزمه من العلم،وله معرفة بعلم التاريخ،ثم تقدم على صغر سنه كاهية في ثغر بنزرت أيام علي باي، ولم يزل يتدرج إلى أن صار أمين الترسخانة بحلق الوادي، وقربه حمودة باشا فصار من رجال مشورته، ومشورة من بعده من الملوك، يعتمدون رأيه [4] .

و- محمد الأصرم:

أصله من مدينة القيروان، تولى محمد الأصرم عدة مناصب هامة وكان يلقب بالوزير، كما كان أيضا باش كاتب حمودة باشا، وكان ذا تأثير على الباي وذلك لنصحه الدائم له ، ويظهر أن هذا الوزير كان من مؤيدي الحلول السلمية ومعارضي الحروب ، يدلنا على ذلك أنه لما استشاره الباي وهو عازم على محاربة الجزائر سنة 1807م أجابه هذا الوزير الذي حنكته التجارب:

---

[1] -أحمد ابن أبي الضياف ، مصدر سابق ،ج.8، ص.39.

[2]– Abel clarive De la rive , **histoire generale de la tunis depuis l'an 1590 avant jusqu'en 1883 ,librairie e.demoflys,paris** ,1883 ,p.330.

[3] – رشاد الإمام ، مرجع سابق، ص. 128.

[4] – أحمد ابن أبي الضياف ، مصدر سابق ،ج.8، ص.60.

((نساعد أحوالنا ، ولا نقطع سياستنا، فإنها أحسن من الحرب)) ، ومما يدل على نفوذ هذا الوزير الكاتب أن قنصل بريطانيا طلب من حكومته بعث هدية فاخرة لمحمود باي ، وذلك لأنه أحق بالولاية من حمودة باشا ، وإذا توفي هذا الأخير فان محمود باشا سيتولى العرش ، ثم طلب في نفس الرسالة أن تكون تلك الهدية مرفقة بأخرى لمحمد الأصرم الكاتب الأول لحمودة باشا للتدليل على مكانة هذه الشخصية [1].

2-تأثير المستشارين:

أ- رجب بونمرة :

نشأ هذا الرجل في الخدمة الملكية ، وترقى في سلمها إلى أن صار كاهية الوجق، وقاد الجنود، وخففت عليه البنود، واستكفى به الباي حمودة باشا في المهمات لشجاعته ، وثقوب فكرته،حتى عندما أصيب بداء منعه من النطق،لم يستغن الباي عن مشورته وكان كريما وجيها، بارع الفطنة،عارفا بمواضع الشدة واللين في أمور السياسة،ولم يزل على فراش المرض إلى أن توفي في جمادى الثانية من سنة 1222هـ / أوت – سبتمبر 1807م [2] .

ب- حميدة بن عياد:

أصله من جزيرة جربة ، تولى المناصب المرموقة المدنية والعسكرية في الدولة التونسية ، من المدنية تقلبه في منصب والي على مناطق مختلفة في تونس، وتوليه وظيفة وكيل الباي في الاعتناء بكل ما يحتاجه ضيوف تونس الطرابلسيين من طعام وسكن وغيره ، وهو منصب يدل على أن الرجل محل ثقة حمودة باشا، كما كان ابن عياد من كبار أغنياء تونس العاملين في ميدان التجارة الخارجية ، أما المناصب العسكرية فقد قاد ابن عياد محلة من الخيالة في حرب تونس ضد الجزائر سنة 1807م ، وهي الحرب التي أبلى فيها هذا القائد بلاء الشجعان الأبطال، كما تظهر لنا شجاعة ابن عياد حين دفع من ماله الخاص كميات وفيرة لإعداد حملة ثانية تونسية ضد الجزائر بعد أن فشلت الحملة الأولى [3].

---

[1] – رشاد الإمام ، مرجع سابق ، ص.131.

[2] – أحمد ابن أبي الضياف ، مصدر سابق ،ج.7، ص.55.

[3] – رشاد الإمام ، مرجع سابق ، ص.133.

جـ-حمودة الأصرم:

نشأ حمودة الأصرم في خدمة الدولة، وسكن مع أبيه بباردو، ثم انتقل لسكنى في تونس،و تولى منصب خوجة زواوة،عوض أبيه المتوفي، وهو من المناصب الرفيعة يومئذ ، واستكفى به حمودة باشا في عظائم الأمور ،وقاد الجنود، وكان مستشارا للباي الذي وثق بنصحه وأمانته ، وكان كاتبا فصيح القلم، حسن الأخلاق،وظل على ما هو عليه إلى أن توفي في 10شوال 1250هـ (الاثنين 09 فيفري 1835م) [1].

د- علي المازغني:

كان هذا الشيخ يتمتع بعطف الباي حمودة وتقديره، ومحل و كان محل ثقته فيما يتعلق بشؤون البدو، يستشيره فيها و يأخذ برأيه [2].

هـ- ماريانو ستينكا (Mariano stinca):

هو من عبيد مملكة نابل ، جلب إلى تونس وعاش بقصر باردو ، وجعله الباي مترجمه الخاص لأنه أصبح يتقن اللغة العربية ، ورغم مكوثه طويلا في تونس إلا أنه لم يعتنق الإسلام، ويعتبر العبد المفضل عند الباي، و أكثرهم تأثيرا فيه لأنه كان أمين سره،كما لعب دورا كبيرا في علاقة الباي مع قناصل الدول الأوربية المعتمدين في تونس ، وخاصة أنه يتقن اللغتين العربية والايطالية .

هذا جعله صاحب نفوذ داخل قصر الباي ، حيث تمتع باحترام كبير من طرف السفراء الأجانب ، فقد أرسل القنصل الفرنسي بتونس رسالة إلى حكومته سنة 1216هـ/1800م، يطلب فيها إرسال هدية إلى ماريانو نظرا لأهميته في اجتماعات الباي [3] .

---

[1] – أحمد ابن أبي الضياف ، مصدر سابق ،ج.8، ص.21.

[2] – رشاد الإمام ، مرجع سابق ، ص. 135.

[3] – كمال مايدي ، مرجع سابق ،ص. 62.

ثالثا_محاولة الاستفادة من الإصلاحات القائمة في الدول المجاورة:

1- الدول الأوربية:

إن الأخذ عن الدول الأوربية جاء من باب موافقة غير المسلم في الأفعال المستحسنة، فلما أشار سلمان الفارسي رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بأن عادة الفرس أن يطوقوا مدنهم بخندق حين يحاصرهم العدو اتقاء من هجومه عليهم ، أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم برأيه وحفر خندقا للمدينة في غزوة الأحزاب ، عمل فيه بنفسه ترغيبا للمسلمين، وقال سيدنا علي كرم الله وجهه : لا تنظر إلى من قال و أنظر إلى ما قال [1] .

كان أهم حدث أثر على الساحة الأوربية هو الثورة الفرنسية سنة 1789م ، فالاتجاه العام الذي كان سائدا في فرنسا قبل ثورتها هو إعادة النظر في أوضاع البلاد الداخلية التي لا يمكن أن تليق بشعب فرنسا العظيم ، حيث كان الفكر التقدمي في فرنسا سباقا وقوي التأثير في شعب أصبح مقتنعا تماما بإعادة النظر في أسلوب حياته ، وعلاقة الأفراد بعضهم ببعض ، وعلاقة الشعب بالحكومة ، وقد كانت فرنسا تحتل المكانة الأولى في عالم التقدم الفكري في اتجاه إنساني واضح ، وهذا الاتجاه الإنساني سيكون له أثره الكبير في رفع مكانة الفرد الفرنسي كانسان [2] .

ومع وصول (نابليون) إلى السلطة الذي اهتم بقضايا فرنسا الداخلية ، خاصة بعد عشر سنوات من الحروب والدمار والألم ، فصمم ألا يقعد حتى يصلح ، وبدأ بمالية البلاد فوضعها على أساس متين ومحا أوراق العملة المتدهورة ، فوضع النقد على أساس الذهب و أعاد بذلك النشاط الاقتصادي [3] .

وكما أثرت الثورة الفرنسية على حياة الفرد وتوجيه فكره ، فقد أثر الانقلاب الصناعي في أسلوب حياة الفرد من الناحيتين الاقتصادية و السياسية ، ذلك أن انتشار السكك الحديدية ، واستخدام التجار النقل المائي ، لم يلبث أن أدى إلى سهولة الاتصال وسرعته في داخل الوطن

---

[1] – خير الدين التونسي،**أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك**،تق:محمد الحداد،ط.1،دار الكتاب اللبناني، بيروت، 2012،ص.12.

[2] – عبد العزيز سليمان نوار ، محمود محمد جمال الدين ، **التاريخ الأوربي الحديث** ، دار الفكر العربي ، مصر ، 1999 ، ص ص .278-279.

[3] – جفري برون ، **تاريخ أوربا الحديث** ، تر: علي المزروقي ، ط.1، دار الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 2006، ص. 396.

الواحد ، وبينه وبين الأقطار المختلفة ، ثم انه قرب بين مواطن الإنتاج ومراكز الصناعة وبين البلدان المختلفة التي توجد بها الأسواق التي يجري تسويق المنتجات فيها ، ولما كان من المتعذر نقل الآلات الضخمة من أماكنها ، فقد نشأت مراكز الصناعة الجديدة في الأماكن الغنية بمواردها الخام ، خصوصا الفحم والحديد ، وجذبت إليها هذه المراكز السكان من كل مكان ، واستقر هؤلاء بجوار مصانعهم ومعاملهم [1] .

وبهذا قام رجال بالنهوض بأساليب الصناعة خاصة صناعة النسيج عن طريق المخترعات التي ابتدعوها سواء في الغزل أول النسيج عامي 1740م و1790م كاي و هركريفر وأركرايت و كرومبتون وغيرهم ، وكان بين الاختراعات التي قدموها المغزل البخاري الذي مكن العامل الواحد من القيام مقام خمسة عمال تقريبا فزادت بذلك سرعة العمل [2] .

2-الدولة العثمانية:

لقد أثبتت هزيمة العثمانيين أمام روسيا سنة 1774م بصفة نهائية تفوق أسلحة الغرب ، مما أدى إلى ضرورة الإصلاح خصوصا في الجانب العسكري و التي كانت قد بدأت في أوائل القرن 18م ، حيث جرى استخدام مستشار عسكري فرنسي جديد هو البارون (دي توت) الذي عمل ضابطا في الجيش الفرنسي لتدريب فرقتي المدفعية والمهندسين ، وقد وفد إلى الآستانة في عام 1755م لتعلم اللغة التركية ، وقد عينه السلطان مصطفى الثالث مستشارا للإصلاحات العسكرية وكلفه بإنشاء فرقة مدفعية على أن تلحق بها مدرسة للهندسة ، وظل يواصل عمله بهذا الصدد حتى أنهت الثورة الفرنسية خدماته عام 1790م [3] .

ومع أن محاولات إصلاح الجيش سارت سيرا بطيئا إلا أنها لم تلبث أن دخلت في طور جديد في عهد السلطان سليم الثالث (1798م-1807م) الذي كان يؤمن بضرورة إصلاح الجيش على أساس النظام الأوربي الحديث،وعلى ذلك، فما كاد يعتلي سليم الثالث العرش حتى راح يعمل

---

[1] – عبد العظيم رمضان، **تاريخ أوربا والعالم في العصر الحديث**، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، د.ت، ج.2، ص.72.

[2] – جفري برون، المرجع السابق ، ص. 468.

[3] – أحمد عبد الرحيم مصطفى ، **أصول التاريخ العثماني** ، ط.2، دار الشروق ، القاهرة ، 1993، ص.172.

في هذا الاتجاه ، وعندما أدرك صعوبات إصلاح الانكشارية [1] ، فانه عمد إلى إنشاء فرق جديدة من المشاة دون أن يمس الانكشارية ، وسمح لهؤلاء الأخيرين بأن ينضموا إلى الفرق الجديدة إذا شاؤوا [2] .

وقد أطلق على هذه الفرق اسم (النظام الجديد) ، تتلقى تدريبا أوربيا على أيدي ضباط فرنسيين وانجليز وألمان ، وتحوز إمكانيات مالية خاصة بها، ويتم تجنيدها من الأناضول أساسا، وهي تضم في عام 1797م ، 9200 جندي و 27 ضابطا ، وفي عام 1802م يجري في الأناضول إدخال نظام تجنيد لتحسين اختيار وتأهيل هؤلاء العسكريين الجدد ، وفي عام 1806م تضم القوة 22685 جنديا و 1590 ضابطا [3].

واستجابة لروح العصر نجد السلطان سليم يشجع إصلاح التعليم وبخاصة في مجال المدارس الحربية، ويقيم سفارات منتظمة في عدد من العواصم الأوربية ويصادر عدد من الإقطاعات التي لم يقدم شاغلوها جنودا ويسخر ريعها لدعم مشروعاته الإصلاحية ، كما فكر في تنظيم التعيينات لحكومة الولايات وإلغاء نظام الالتزام الذي من خلاله يتعهد فرد أو عدة أفراد من ذوي العصبية ، بسداد المال السنوي المقرر على الأراضي الزراعية في قرية ما، ومن الامتيازات التي يتمتع بها الملتزمون حصولهم على الفائض، وهو الفرق بين ما يتعهد به إلى الخزينة وبين حصيلة ما يجنيه من الفلاحين ، كما أبدى ميله إلى إنشاء مجلس استشاري يشترك فيه كبار الموظفين، كما لم يتردد في إجراء تغييرات في كل إدارات الدولة ، فقد كان يرى إلغاء النظام الإقطاعي بهدف التخلص من مساوئه والحد من سلطة حكام الأقاليم بهدف تحسين الإدارة ، والحد من سلطة الصدر الأعظم وذلك بإرغامه على استشارة الديوان في كل الأمور الهامة ، كما شجع نشر التعليم على مدى واسع وعمل على إنعاش الطباعة وترجمة الكثير من الكتب الأوربية وفتح المدارس في شتى أنحاء الإمبراطورية [4].

---

[1] – الانكشارية: كلمة تركية تعني العسكر الجديد ، وهو جيش من المشاة أنشئ في عهد السلطان أورخان العثماني (1299م–1325م)، اعتمد فيه على أبناء النصارى من البلقان بعد تنشئتهم على الإسلام.أنظر:عبد الكريم الخطيب، مرجع سابق، ص. 25.

[2] – إسماعيل أحمد ياغي، **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث** ، ط.2، مكتبة العبيكان ،الرياض، 1998، ص. 147.

[3] – روبير مانتران ، **تاريخ الدولة العثمانية** ، تر: بشير السباعي ، ط.1، دار الفكر ، القاهرة ، 1992، ج.2،ص. 13.

[4] – أحمد عبد الرحيم مصطفى، مرجع سابق،ص.177.

3- مصر:

كان محمد علي باشا والي مصر قد سبق السلاطين العثمانيين في مجال الإصلاحات ، حيث أنشأ جيشا قوميا مؤلفا من فلاحين مصريين يتم اختيارهم عبر التجنيد ويتم تنظيمهم على أيدي ضباط أجانب ، ويجري تدريبهم وتسليحهم وفق المبادئ الغربية ، كما اجتهد محمد علي في تحديث الإدارة وتنمية استغلال موارد مصر وإدخال محاصيل وصناعات جديدة ، وفتح المجتمع المصري على العالم الخارجي ، وإرسال طلاب إلى أوربا وإنشاء نظام تعليم جد حديث وتسهيل ظهور صحافة قومية [1] .

كما حدث تطور في عهد محمد علي في الإنتاج الزراعي ، فلم يعد مقتصرا على الاستهلاك المحلي كما هو الحال بالنسبة للإنتاج الزراعي والإقطاعي ، وإنما تعداه إلى الإنتاج الزراعي من أجل التصدير مثل القطن ، وسيدعو الاهتمام لمحصول القطن إلى تطور كبير في وسائل الزراعة، مثل القيام بالمشروعات المائية الواسعة لتوفير المياه اللازمة للتوسع في زراعته ، ومن المشروعات المائية الكبيرة التي أقيمت في مصر بالإضافة إلى إقامة السدود مشروع بناء القناطر الخيرية عند تفرع فرعي رشيد و دمياط للتحكم في المياه [2] .

وفيما يتعلق بالحكومة والإدارة ، شكل محمد علي لنفسه مجلسا خاصا اعتاد المداولة مع أعضائه في جميع الأعمال المتعلقة بالحكومة قبل الشروع في تنفيذها ، وألف لكل فرع من فروع الإدارة مجلسا من الأخصائيين ، فكان هناك مجلس للحرب ، ومجلس للبحرية ، ومجلس للزراعة، وآخر للتعليم وغيره للصحة ، وكان هناك مجلس عام فوق هذه المجالس جميعا يدعى بمجلس الحكومة، ومن اختصاصه النظر في جميع أقسام الحكومة ، وكان إذا دعت الحاجة إلى وضع قرارات مهمة في الزراعة أو الأشغال العامة الخطيرة يعقد مجلس لذلك يجتمع فيه حكام الأقاليم ومديروها [3] .

---

[1] – روبير مانتران ، المرجع السابق ، ص. 33.

[2] – محمد محمود السروجي، **دراسات في تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر**، منشورات كلية الآداب،جامعة الإسكندرية، 1998، ص. 91.

[3] – محمد صبري، **تاريخ مصر الحديث من محمد علي إلى اليوم**، ط.1، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1926، ص. 39.

الفصل الثاني:

مظاهر سياسة حمودة باشا الداخلية

الفصل الثاني : مظاهر سياسة حمودة باشا

المبحث الأول : ميدان الحكم والإدارة

أولا_حسم الخلافات بينه وبين أفراد العائلة الحاكمة:

عمد حمودة باشا إلى حسم الخلافات الموجودة بينه وبين أفراد العائلة الحسينية من أجل اتحاد الكلمة ، وإبعاد الفتن والمؤامرات عن البلاد، ولتحقيق ذلك فانه سلك اتجاهين لمعالجة الأمر، الأول بالود والتفاهم، والثاني بالتنكيل بمن أراد العصيان والتمرد.

1-استمالتهم ومحاولة إرضاؤهم:

لقد أدرك حمودة باشا منذ جلوسه على عرش تونس ، أن المنصب ليس من حقه، وهذا ما قد يخلق له الكثير من المشاكل، لذا فقد بدأ في العمل على تصفية الأجواء خاصة مع ابن عمه محمود صاحب الحق الشرعي، حيث قربه منه بإظهار المودة والمحبة له، ورفض الباي أن يقبل محمود يده، كما بدأ يستشيره في بعض شؤون الحكم حتى يشعر بمكانته داخل القصر [1] .

ولم يقف حمودة باشا عند ذلك الحد في تكريم ابن عمه بل زاد فصاهره على إحدى أخواته فتعاظمت بذلك المحبة وازدادت، وأصبح بعدئذ يزور أخته في بيت ابن عمه محمود كل يوم، وبتلك السياسة الرشيدة ضمن حمودة ولاء أخطر منافس له على العرش بكل أحقية وشرعية، في كامل عهده الطويل، وبعد أن توفي حمودة وتغيرت سياسة الباي الجديد عثمان – أخو حمودة– مع ابن العم محمود، حبك الأخير مؤامرة ضده كانت نتيجتها مقتل عثمان باي وأبناؤه و أهله، وارتقاء محمود على عرش تونس، ومن خلال هذا نلاحظ الفرق الشاسع بين جدارة سياسة حمودة باشا وجدواها من جهة، وبين ضعف سياسة أخيه وخذلانه من جهة أخرى في هذا المجال [2] .

وقد وصف لنا محمود عن الفرق بين المعاملتين بقوله : ((... ومع ذلك فقد كان يجاملني، ويأتي داري، ولا يقطع أمرا مهما دوني، ويثق بأولادي، ويختصهم بما لا يخص به أبناء أخيه، أما هذا (عثمان) فانه غض الطرف عني، وعاملني معاملة صغير البيت و أخرجت من داري ، حتى رام ابنه التقدم علي، وطلب عهدا من أبيه ...)) [3] .

---

[1] – كمال مايدي ، مرجع سابق ، ص. 46.

[2] – رشاد الإمام ، مرجع سابق ، ص .165.

[3] – أحمد ابن أبي الضياف ، مصدر سابق ، ج.3، ص. 105.

والى جانب تكريم حمودة لابن عمه محمود لم يفته الانتباه إلى ابن عمه الثاني –أخ محمود– وأخواته بل كان يغدق عليهم العطايا والامتيازات، ويبادر إلى خدمتهم ومجاملتهم والعطف عليهم دائما ، وفيما يتعلق بإخوته وأخواته فكان كثير الحب لهم، شديد العطف عليهم، وكان لا يتردد في إرضائهم و الأخذ بيدهم ، وقد بلغ به ذلك حدا جعله يكاتب بعض أخواته بخط يده، ومن الجدير بالذكر أن تلك الرسائل المكتوبة باللهجة العامية التونسية، تفيض جملها بمعاني الود الخالص والحب الصادق، خاصة على أخته خدوجة التي كانت تتبضع من فرنسا بمبالغ مالية كبيرة تضاف إلى حسابات حمودة باشا في القنصلية الفرنسية [1] .

2- سياسة البطش والشدة مع المخالفين له:

لقد اتخذ حمودة باشا الحيطة والحذر، خاصة اتجاه أمراء البيت، والذين يبدون الميل للحكام الجزائريين والتعاون معهم لإحداث الاضطرابات والفتن بتونس، وهذا ما نجده مع إسماعيل حفيد علي باشا الذي رحب به حمودة باشا في الحاضرة وعاش فيها بعد أن وعد بعدم التدخل في شؤون الحكم والسياسة، وفي الأخير اكتشف علاقته مع داي الجزائر، مما أدى إلى قتله خنقا في سبتمبر 1799م، وبهذا تخلص حمودة باشا من آخر منافس خطير له على العرش، وبموته لن يجد دايات الجزائر داعيا للتدخل في شؤون تونس، وبذلك يتنفس الباي الصعداء، ويتمتع بهدوء للعمل على تحسين أوضاع البلاد وتطورها [2] .

ثانيا_إبعاد الأتراك عن الوظائف الحساسة في الدولة:

منذ أن فتح الأتراك العثمانيون تونس سنة 1574م،جعلوا من أنفسهم طبقة في المجتمع تتميز بالنبل والسمو على بقية الأهالي،وكذلك نصبوا رجالهم على أهم المناصب في البلاد،وهي مناصب أصبحت بحكم العادة لا يتولاها غيرهم،وقد سن الأتراك هذا النظام السياسي في البلاد حتى ينحوا عن التونسيين إمكانات الاستيلاء على السلطة أو الثورة عليهم،وقد كان العثمانيون يرون أن السكان الأصليين عاجزين عن تحمل أية مهمة أو مسؤولية في إدارة أو حكم البلاد،

[1] – رشاد الإمام ، مرجع سابق ، ص ص. 166– 167.

[2] – حفيظة بوتوقوماس ، مرجع سابق ، ص. 54.

وبلغ هذا الأمر بالأتراك حدا جعلهم يصنفون حتى أبنائهم إذا ما ولدوا خارج ولايات السلطان العثماني المهمة، في نفس مرتبة سكان شمال إفريقيا في عدم الكفاءة والأهلية، وقد تولدت عن هذا الشعور بالرفعة والامتياز عدة مظاهر سيئة برزت سواء في الإدارة والحكم و الجيش [1] .

كما نجد في أوائل القرن 17م ، أن الداي عثمان (1610م) فرض على سكان المدن عدا الأتراك منهم ضريبة كبيرة، أطلق عليها اسم "المجبى"، وتصرف في لوازم وحاجيات جند الترك، وأصبحت فيما بعد هذه الضريبة مصدرا لظلم الأهالي والتحقير بهم، وفيما بعد أصبح الأهالي يعتبرون أن الحكام الذين تولوا الحكم في تونس،هم حكام مغتصبون و غزاة، بالرغم من تحسن وضعهم في الفترة الحسينية [2] .

وبناء على هذه المعطيات فقد عمل حمودة باشا في السنوات الأولى من توليه العرش في إبعاد العناصر التركية عن المراكز الحساسة والعامة في الدولة رويدا رويدا، وفي نفس الوقت كان يزداد ثقة وائتمانا لغير الأتراك من السكان ويسند لهم المسؤوليات والمناصب، وهكذا استطاع حمودة في بداية عهده أن يعوض عددا كبيرا من الأتراك برجال آخرين أكثر تفانيا له وأصدق عملا في سبيل مصلحة بلاده،حتى استطاع في وقت مناسب، وتحقيقا لإصلاح حقيقي وحاجة ضرورية واجبة، إزاحة الأتراك والضرب على أيديهم بصفة نهائية وقاضية في ثورة جندهم سنة 1811م [3] .

ويرى البعض أن تعاصر هذه الثورة مع حادث للمماليك (مذبحة القلعة في مصر في عهد محمد علي) ما يبرر استنتاج أن الباي شعر بخطر الأتراك فسعى إلى التخلص منهم ، وبالرغم من الحذر و المهارة والبطء الذي رافق هذه الإجراءات فان الأتراك تنبهوا للغاية التي كان يسعى اليها ، وتآمروا على قتله حين انتقاله من بارد والى تونس، ولكن حمودة باشا علم بالمؤامرة واستعان بالمخازنية و قوات زواوة (عناصر من قبيلة زواوة الجزائرية المقيمة في جبال القبائل)

---

[1] – رشاد الإمام ، مرجع سابق ، ص ص.171– 172.

[2] – حفيظة بوتوقوماس ، مرجع سابق ، ص ص. 54 – 55 .

[3] – رشاد الإمام ، مرجع سابق ، ص. 175.

وحاصر الجند في القصبة وكانت الذخائر والمؤن قليلة ، واضطر الأتراك إلى الخروج وقتل وجرح الكثير منهم و أشرك من بقي منهم في الخدمة في قوات زواوة [1].

ثالثا_تعيين التونسيين والمماليك والنصارى واليهود في تلك الوظائف:

عندما أجرى حمودة باشا التغييرات الإدارية السابقة كانت أول بادرة قام بها ، هو تعيينه لعدد كبير من التونسيين في الوظائف الهامة في الدولة على اعتبار أنهم أبناء البلاد ، وبهم يضمن المصلحة العليا للدولة ، ثم جلب مماليك صغار من تركيا ، وتربيتهم تربية خاصة ، وبعد أن يكبروا يسلمهم مناصب إدارية ، أما المناصب الدينية والمحاكم الشرعية ، كانت بيد علماء من أبناء تونس ، وكذلك منصب شيخ المدينة ، بالإضافة إلى توظيفه لليهود في المناصب الهامة في الدولة ، حيث تمكنوا من تنشيط التجارة فيها [2].

وما إن حلت سنة 1808م حتى أصبح الوضع القديم الذي كان سائدا في تونس قد انقلب تماما ، بحيث لم يوجد أي أحد من الأتراك في الوظائف الهامة ، وإنما الرجال الذين كانوا يمسكون أمور الدولة جميعها من المماليك، أو من الأوربيين بقسميهم أولئك الذين اعتنقوا الإسلام أو الذين بقوا على نصرانيتهم ، وكذلك كان الأمر لمعظم موظفي القصر، وقد استمر ذلك الوضع في آخر عهد حمودة باشا ثم تواصل في العهود التي تلته إلى أواخر القرن التاسع عشر [3] .

رابعا_ إصلاحات إدارية أخرى:

اتخذ حمودة باشا سياسة جديدة في الدولة، وهي تفضليه للشباب وتعيينهم في الوظائف الهامة محل الشيوخ، حيث كلف وزيره يوسف صاحب الطابع وهو لا يزال شابا في تنظيم الإدارة في الولايات ، وتعيين القادة، ومراقبة أعمالهم الإدارية وتصرفاتهم الشخصية،والحد من تجاوزاتهم اتجاه السلطة المركزية واستبدادهم على الأهالي، كما اتبع سياسة منع موظفيه وكبار المسؤولين من الزواج لكي يقوموا بواجباتهم [4] .

---

[1] – محمد خير فارس ، مرجع سابق ، ص ص.236–237.

[2] – حفيظة بوتوقوماس ، مرجع سابق ، ص. 55.

[3] – رشاد الإمام ، مرجع سابق ، ص. 181.

[4] – حفيظة بوتوقوماس ، مرجع سابق ، ص. 56.

أما فيما يتعلق بإدارة القياد وسياسة الإشراف عليهم ومراقبة أعمالهم،فقد تغيرت كثيرا في عهد حمودة باشا، فبعد أن كانوا يضطهدون الشعب بدون أن يعاقبوا،صار اليوم أبسط قروي يتمتع بحق الوصول إلى الباي وأخذ حقه من القايد نفسه،ليس هذا فقط بل كان يحيط القياد،ومعظم كبار المسؤولين في الدولة بعيون تخبره بكل ما يجري في البلاد،سواء في العاصمة أو خارجها[1].

وفي هذا المجال يخبرنا صاحب الإتحاف : ((... وكان له في غالب العروش أعيان من مشايخهم و أبناء زواياهم، يعرف أشخاصهم و أسماءهم وأحسابهم، ويسميهم في جموعهم كمحمد بن السبوعي في جلاص، وقظوم ابن محمد،مثوى القرى ورجل الفراشيش، وأمثالهم، يسترشدهم في مصالح قبيلهم، حتى يرى القائد منهم أنهم شبه العيون له ...)) [2] .

[1] – رشاد الإمام ، مرجع سابق ، ص. 187.

[2] – أحمد ابن أبي الضياف ، مصدر سابق ، ج.3، ص. 83.

المبحث الثاني: الميدان العسكري و الأمني

أولا_الاهتمام بالجيش:

1- إبعاد العنصر التركي وإشراك العنصر المحلي:

يعد الجيش من بين أسباب القوة لهذا اتخذ حمودة باشا مجموعة من الإجراءات لتحسينه وتطويره ، وقد دفعه إلى هذا الأمر الرغبة في التخلص من الوساطة الجزائرية ، فمنذ أن أعاد الجزائريون أولاد حسين بن علي إلى حكم تونس ، أصبحوا يعاملون تونس معاملة التبعية ، فقد كان هناك وكيل جزائري في تونس يتدخل في شؤونها ويسكن قصر باردو، وكان رسل داي الجزائر يتصرفون في تونس تصرف الأسياد مع التابع ، وحصل الجزائريون على امتيازات اقتصادية واسعة ، فقد كان على التونسيين أن يقدموا سنويا كمية من الزيت إلى الجزائر ، كما كان الجزائريون يرسلون مواشيهم لبيعها في تونس ، وكان على الباي أن يمنع التونسيين من بيع مواشيهم حتى تباع مواشي الجزائر بالأسعار التي يحددها الجزائريون ، وعلى الدوام كان الجزائريون يتصرفون في مسائل الحدود تصرف الفرنسيين فيما بعد ، يتهمون التونسيين باختراق حدودهم والتعدي على أراضيهم ويطالبون بالغرامة ويحددون العقوبة ، ولم يكن حمودة باشا ليرضى بهذا الإذلال فقرر أن ينهي هذا الوضع، بتقوية و إصلاح الجيش [1] .

كان للباي شغف بجنده الترك ، ومن شدة عنايته بهم يذكر أحمد ابن أبي الضياف :

((...أنه في شهر رمضان تخرج منهم طائفة بالليل بمشاعل ولعب يسمى في البلاد غولة رمضان ، فيأتون باردو ويبقى بابه مفتوحا إلى خروجهم ، ويحسن إليهم بمال ، ويأتون منازل الأعيان من أهل الحاضرة ورجال الدولة بذلك اللعب ، ويدفع لهم رب المنزل شيئا من المال ، ظاهره إحسان وهم يعتقدونه ضريبة ...)) [2] .

لذلك عمد إلى تكثير الجند من أجل امتلاك جيش قوي ، ولكنه وقع في مأزق لكثرتهم ، حيث ساهموا في اضطراب البلاد وانتشار الظلم والفوضى ، وواصلوا ولاءهم لحكام الجزائر الأتراك ، ولما أحس الباي بالخطر منهم ، قام بتسليح وتدريب عساكره الوطنية المحلية ، التي كانت موجودة

---

[1] – محمد خير فارس ، مرجع سابق ، ص ص. 233-234.

[2] – أحمد ابن أبي الضياف ، مصدر سابق ، ج.3 ، ص.54.

وتقويتها والاعتماد عليها بدل جند الترك،خاصة بعد ثورتهم سنة 1802م، ومن هذه التشكيلات الوطنية، اهتمامه بقسم المتطوعة، واعتنائه بالصبايحية، والمرزاقية وبعسكر الزواوة، حيث أصبحوا قوة جديرة بالتقدير، كما اعتمد الباي تشكيلات جديدة في الجيش متكونة من الكراغلة، فمنهم المشاة الذين وصل عددهم إلى ألفي جندي، كما اعتمد على المماليك و الأوربيين الذين أسلموا و أصبحوا تونسيين [1] .

ومن التشكيلات التونسية التي قواها حمودة باشا، تماشيا مع سياسته العسكرية، اهتمامه برجال المخزن الذين كانوا يكونون هيأة غير نظامية من عسكر الخيالة ، وهم يتألفون من فرسان ينتمون إلى مختلف القبائل التونسية ، ويشاركون مشاركة فعالة في المحال كل سنة ، وكان حمودة باشا هو أول من اهتم بهم و أحسن تدريبهم واستعملهم في حروبه ، ولم يقف حمودة باشا عند هذا الحد في الركون إلى أبناء البلد في الجيش ، بل كان يسمح لجميع الأهالي باقتناء الأسلحة ، غير أنه كان يمنع عنهم حيازة البارود ، سواء منه الذي يصنع محليا أو الذي يستورد من الخارج ، وعند وقوع أي هجوم أو قيام حرب خارجية ، ما كان على حمودة إلا أن يفتح أبواب مخازن البارود ، فيهجم الناس عليها و يأخذون ما يحتاجونه منها ، وبذلك الإجراء يتألف في مدة قصيرة أيضا جيش من الأهالي الذين لا يغادرون مدنهم و أحيائهم وقت المعارك [2].

2- تسليح الجيش:

كما ساهم بتدعيم الإمكانيات الحربية للجيش، خاصة السلاح الأوربي المتطور، وفي هذا الصدد نجده ساهم في إنشاء مصانع حربية عصرية في تونس من أجل صناعة البارود والمدافع والقذائف، وأيضا صناعة السفن الحربية، وإصلاح الموانئ، وبنائها على أسس عصرية وساهم في بناء الأبراج و الأسوار والثكنات [3] .

وقد طلب الباي من فرنسا سنة 1787م السماح له بشراءه من مدينة تولون ، كمية من المعدات والآلات لتأسيس مسبك للتذويب لصناعة المدافع، وبعد ثلاث سنوات من ذلك التاريخ،

---

[1] – حفيظة بوتوقوماس ، مرجع سابق ، ص. 65.

[2] – رشاد الإمام ، مرجع سابق ، ص ص.210-211.

[3] – حفيظة بوتوقوماس ، مرجع سابق،ص. 66 .

رغب حمودة من فرنسا في السماح له بالحصول على آلة لنقب وثقب المدافع ، على أن تكون تعمل بقوة الخيل، و أن تكون تحفة رائعة من صناعات الرجال الفنيين الماهرين في هذا المجال، وبعد ذلك طلب مصطفى خوجة من الحكومة الفرنسية إعلام الباي بتاريخ الانتهاء من صناعة تلك الآلة ، حتى إذا تمت تجربتها والتحقق من إتقان صنعها ، تنقل إلى تونس بسرعة ، ثم أوصى الوزير ببعث خبير مدرب ماهر ليجمع أجزائها ويركبها ويشغلها في محلها ، وبعد شهرين تقريبا من ذلك التاريخ أجابت الحكومة الفرنسية على لسان أحد كبار مسؤوليها بأنها كلفت لصناعة تلك الآلة أمهر فني اختصاصي في مصانع الأسلحة ، وبعد مدة وصلت أخيرا إلى تونس مع خبير ماهر لتركيبها وتشغيلها يوم 04 أفريل 1792م [1] .

3-تدعيم الأسطول البحري:

قام الباي بتدعيم الأسطول البحري التونسي بعدة سفن متنوعة منها :

أ- **بومبارد** Bombard :

سفينة صغيرة مزودة بالقنابل ، وهذا ما أعطاها اسم "المقنبلة" بها صاري كبير في المقدمة و آخر صغير في المؤخرة .

ب- **بريك Brick:**

من المراكب الحربية الخفيفة ، لها صاريان تحمل شراعات مربعة ، تحمل حوالي عشرين مدفعا ومائتي بحار ، وتستعمل أيضا في التجارة .

جـ- **الشبك Chebek:**

سفينة صغيرة تنتسب إلى عائلة السفن الشراعية الحربية، وهي تحمل ثلاث صواري وصدرها بارز إلى أمام السفينة ، تحمل عشرة مدافع ، وتمتاز بالسرعة والخفة .

د- **غواليت Goélette:**

سفينة حربية وتجارية كبيرة مرتفعة قليلا عن الماء، لها صاريان واحد مائل نحو المؤخرة والثاني مائل باتجاه المقدمة ، تحمل ثمانية مدافع [2].

---

[1] - رشاد الإمام ، مرجع سابق ، ص ص. 226-227.

[2] - كمال مايدي ، مرجع سابق ، ص ص. 64-66.

ثانيا_حفظ الأمن والاستقرار:

ومن أجل بلوغ هذا المسعى قام حمودة باشا بتعزيز قوة الشرطة في المدن وبالخصوص في العاصمة ، وقد بلغت جدارة رجال تلك الشرطة ، التي كانت تضمن أمن السكان وتسهر عليه دون الحد من حرياتهم ، حدا مكنها من تطبيق النظام الكامل في عاصمة بلغ عدد سكانها سنة 1780م ما يقارب ثلاثمائة ألف ساكن .

وقد كان الأهالي يتعاونون مع الشرطة ويلتجئون إليها طلبا للنجدة، وكان المسؤول عن تلك الشرطة في العاصمة هو شيخ المدينة،وهي وظيفة لم يتولها إلا تونسيون من أهل البلاد،أما مفاتيح أبواب العاصمة فإنها كانت تبيت عند الآغا[1]، واستمرت حراسة المدينة على المنوال في عهد حمودة وفي العهود التي تلته [2].

ولضمان الأمن والاستقرار في البلاد، فانه أيضا شدد من عقاب المجرمين واللصوص، وخصص لهم سجونا كبيرة في جزيرة قرقنة التي تقع شرق البلاد التونسية، بالقرب من مدينة صفاقس، وكل هذه الإجراءات ساهمت في حفظ الأمن[3].

---

[1] – الآغا : أختلف في أصل الكلمة فقيل تركية من المصدر "أغمق" ومعناه الكبير وتقدم في السن ، وقيل إنها من الكلمة الفارسية "أقا" وتطلق في التركية على الرئيس والقائد وشيخ القبيلة ، و أستعملت عند المغول لقبا من ألقاب التشريف كم تطلق في بعض الأحيان على صاحب الأرض .أنظر: مصطفى بركات ، **الألقاب والوظائف العثمانية** ، دار غريب ، القاهرة ، 2000، ص.173.

[2] – رشاد الإمام ، مرجع سابق ، ص. 256 .

[3] – حفيظة بوتوقوماس ، مرجع سابق ، ص. 66.

المبحث الثالث: الميدان الاقتصادي

أولا_الزراعـة:

1-حثه على العمل:

كان حمودة باشا يردد دائما في مجالسه علنا ، ويشتهي أن ينقل عنه : ((لا أبغض أحدا من أهل بلادنا إلا البطال الذي لا نفع فيه للوطن ، ولو برعي الغنم .)) ، ويكره التصدق على الفقير القادر على التكسب ببدنه ويقول: ((إن طلب الرزق بالأسباب الممتهنة لا يكسبه معرة ، ولا مذلة توازي مذلة السؤال.)) .

وكان يباشر الفلاحة بهنشير المرناقية[1] ، ويركب غالبا في كل أسبوع ، ليقتدي به غيره في مباشرة أموره ، لا للتكسب، بل ربما وسع بها على الضعفاء من أهل تلك الجهة، فكان يبيع لهم الحبوب و الأنعام لآجال واسعة ، ويسلفهم عن الاحتياج [2] .

2- تحسين الإنتاج:

منذ عهد حسين بن علي كانت أغلب زراعة الأهالي تتمثل في الحبوب، لا سيما القمح الصلب والشعير ، الذي ينتشر في وادي مجردة، وكذلك سهول ماطر وباجة، وقد كانت هذه الزراعة أقل كثافة كلما اتجهنا نحو الجنوب إذ تزرع هذه الأراضي البقول والخضر من خيار وفول وبصل وثوم وجلبان وعدس ولفت وجزر .

وفي الساحل هيمنت شجرة الزيتون، وهي على أنواع مختلفة في الطعم ، وفي واحات الجنوب كان النخل يلقي ظلاله على البساتين، ويعطي أصنافا شتى من التمور للاستهلاك اليومي والتخزين والتصدير ، وكل هذه الخيرات التي يتمتع بها القطر التونسي، إلا أن هذه الثروة بقيت بين الظهور والذبول في عهود البايات الحسينيين الأوائل والظروف المزرية التي مروا بها إلى أن تولى حمودة باشا العرش فأولى اهتمامه لإنشاء قاعدة زراعية وتحسين الإنتاج لتستفيد بذلك البلاد والعباد [3] .

---

[1] – المرناقية : اسم لمزرعة كبيرة تقع شمال مدينة تونس. أنظر: رشاد الإمام، مرجع سابق،ص. 274.

[2] – أحمد ابن أبي الضياف ، مصدر سابق ، ج.3، ص.78.

[3] – حفيظة بوتوقوماس ، مرجع سابق ، ص ص. 93-95.

سعى حمودة باشا إلى استخدام الطرق العلمية الحديثة حيث كان بتونس فرنسيون يقومون بتجارب لتحسين الإنتاج الزراعي التونسي، وكذلك كان منهم من يجري تجارب ترمي لتغيير رائحة الخروف التونسي بسبب كثرة شحمه وكثافة صوفه، وقد حدث بعد سنة 1807م، أن الباي تطبيقا لسياسته في زيادة الإنتاج أمر بمنع ذبح البقر والغنم والمعز في البلاد التونسية [1].

كما عمل كل جهده للمحافظة على مزروعات وخيرات البلاد التونسية إلى أن بلغ به الأمر كما يقول أحمد ابن أبي الضياف: ((... وسار بجموعه محتفظا على ما يمر به من زروع المملكة و أنعامها ، وكان العامر يومئذ أكثر من الغامر ، حتى أنه يأمر بفساد نظام الصف خشية ضرر الزرع ، يشدد النكير في ذلك ويبالغ في العقوبة على فعله ...)) [2] .

3- تأمين أسعار مربحة و أسواق خارجية للإنتاج الزراعي:

سعى حمودة باشا إلى ضمان أسعار رابحة للمزارعين ، تشجيعا و مكافأة لهم، كما كان يشتري أحيانا الكثير من حبوب المحصول التونسي من المزارعين بأسعار أعلى مما هي متداولة في السوق ليرجع ويبيعها في الخارج فيما بعد، كما في سنة 1802م ، كانت أسعار الحبوب التونسية المعدة للتصدير في ازدياد مستمر، و أن ذلك الازدياد يقع حتى في السنوات التي يكون فيها المحصول كبيرا جدا مثل ما كان سنة 1802م و سنة 1804م ، كما قام الباي بمنع التجار الأجانب من ابتياع الحبوب من المزارعين التونسيين قبل استواء المحصول، وذلك للغبن الشديد الذي كان يصيب هؤلاء في تسعير ثمن حبوبهم، وكذلك حتى يستطيع المزارع العمل بيسر بالنسبة لسنته الزراعية المقبلة [3] .

يظهر أن تلك السياسة العملية ذات المكافأة العاجلة للمزارع ، أدخلت نشاطا و روحا جديدتين في الزراعة في تونس، غير أن الذي يجب ذكره هنا هو أن حمودة باشا كان أول من سمح في العهد العثماني بتصدير المنتوج الزراعي التونسي إلى أوربا بصفة مباشرة وعلنية،والسر في بداية ازدهار الزراعة التونسية هو راجع لسببين أولهما إدارة حمودة باشا المنظمة وسياسته الواضحة

---

[1] – رشاد الإمام ، مرجع سابق ، ص.275.

[2] – أحمد ابن أبي الضياف ، مصدر سابق ، ج.3، ص.47.

[3] – حفيظة بوتوقوماس ، مرجع سابق ، ص.96.

ومصالحته للدول ، وهي بالتالي الأمور التي أوجدت الأسواق الخارجية ، والسبب الثاني هو انتهاء الحرب التونسية – البندقية ، والصلح بين تينك الدولتين سنة 1792م كان بداية الانطلاق [1] .

كما يعود سبب وفرة الإنتاج التونسي إلى كثرة الطلب الخارجي على يد التجار الأجانب من استيراد الحبوب على مختلف أنواعها ، وكذلك الزيتون ، ونظرا لما تدخله هذه المحصولات من أرباح طائلة، فان الدول الأوربية كانت تتسابق من أجل بعث سفنها إلى تونس لتصديرها ، ومن بين هذه الدول نجد : فرنسا التي بعثت حوالي 308 سفينة تجارية ، واسبانيا استعملت 64 سفينة، ومن أنواع المواد الغذائية التي تباع في الخارج نجد منها الحبوب و زيت الزيتون و التمور، وواصلت البلاد التونسية البيع إلى مصر والى جميع البلدان الأوربية حتى بعد وفاة حمودة باشا [2] .

4- إصدار قوانين جديدة للحد من الفوضى السائدة في مجال الضرائب و الأداءات المرسومة على الزراعة:

كانت ولاية العمال قبل عهد حمودة باشا تتم بتعيين من الباي، وكانت مهمة العامل تشمل دفع الرعية إلى الطاعة والى جباية الضرائب ، وكان العامل يستخلص من أهل عمله العشر من مداخيل الزراعة وهو ما يسمى " بالخلاص" ، وكذلك الزكاة الشرعية المرتبة على المواشي ، غير أن العمال كانوا يستعملون طرقا أخرى عديدة لأخذ أموال الناس ، من تلك الطرق ما كان يسمى "بالضيفة" [3] وما كان يسمى " بالوهبة" ، ولما تولى حمودة باشا و أراد تغيير ذلك الترتيب الجبائي استقر رأيه على تطبيق نظام جديد اقترحه وزيره وكاتبه (حمودة بن عبد العزيز) ، وهو نظام يقتضي تولية العمال على مشارطة مالية، على أن تكون وراء سيرة العمال في أعمالهم مراقبة من الدولة ، و أصبح لا يتولى عامل إلا على يد يوسف صاحب الطابع، وهو الرجل الذي أوكلت له مهمة إدارة شؤون العمال بعد هذا التغيير، وبهذا أصبح للدولة مدخول جديد كان يطلق عليه اسم "الاتفاق" ، وبجانب هذا الإجراء الإداري كان حمودة باشا لا يتأخر في رد ظلم العشارين للأهالي

---

[1] – رشاد الإمام ، مرجع سابق ، ص .277.

[2] – حفيظة بوتوقوماس ، مرجع سابق ، ص. 97.

[3] – وتعني الرضى ، ويقدمها المشائخ لقادة العمالة في شكل هدية وتكثر أو تقل أيضا حسب العمالة بحيث يوزعها مشائخ القبائل على أفراد قبائلهم لتجمع في مقدار من المال . أنظر : أحمد ابن أبي الضياف ، مصدر سابق ، ج.3، ص. 22.

عند استيفاء الخلاص، وكان يخفف من الجباية على العربان بل كان يسقطها في سنين الجدب، كما كان يسمح للمزارعين الذين كان يظلمهم الملتزمون بإقامة الدعاوى على الدولة فصار المتضررون يطلبون وكيل الباي ويحاكمونه و ينتصفون منه [1] .

ثانيا_ الصناعة:

1- تشجيعه للصناعات المحلية:

ظهرت في تونس بعض الصناعات التقليدية التي كانت مصادرها الأولية من الإنتاج الزراعي والحيواني ، بالإضافة إلى براعة بعض الأسر التونسية التي تستطيع الدمج بين هذين العنصرين الأساسيين من أجل إنشاء صناعة تفيدها في حياتها اليومية ، وبمجيء حمودة باشا الذي يعتبر عصره في العهد الحسيني بالعصر الذهبي ، وذلك بتشجيعه للاقتصاد التونسي بصفة عامة وللصناعات المحلية بصفة خاصة [2] .

ويذكر أحمد ابن أبي الضياف : ((... وله في حب الوطن ، وهداية أهله إلى طرق النجاح ، آثار مشهودة ، منها أنه لا يتباهى إلا بعمل البلاد ، من لبس نسجها شعار ودثارا، كنسج سوسة والحمامات والجريد وجربة ، وما يصنع بالحاضرة من نسج الحرير الصرف والمختلط . ولقد أصبح في يوم عيد بموكبه ... وعلى رأسه طيلسان من عمل جربة ، فكلمه خاصته في ذلك فقال لهم: هو عندي أفخر من الكشمير المجلوب ، لأن ثمنه لم يخرج من البلاد ...)) [3] .

بجانب هذا المظهر اتخذ تشجيع حمودة باشا للصناعات المحلية مظاهر أخرى منها أنه حصر الهدايا التي تقدم له في المناسبات ، سواء كانت تلك الهدايا من المسؤولين أو من سكان المدن والقرى والقبائل ، حصر تلك الهدايا في المصنوعات المحلية التي ينتجونها خاصة المنسوجة منها ، وكذلك من مظاهر تشجيع الباي للصناعات المحلية أن الهدايا التي كان يبعث بها إلى الدولة العثمانية والى بعض الدول الأوربية كانت تتكون في معظمها من المنتوجات الصناعية

---

[1] – رشاد الإمام ، مرجع سابق ، ص ص .280– 281.

[2] – حفيظة بوتوقوماس ، مرجع سابق ، ص.99.

[3] – أحمد ابن أبي الضياف ، مصدر سابق ،ج.3، ص ص. 76–77.

التونسية ، ومن تلك المظاهر أيضا عمل حمودة باشا إلى توفير المواد الخام و الأولية التي تحتاجها الصناعات المحلية التونسية عن طريق المعاهدات التجارية مع بعض الدول الأوربية، ويتمثل ذلك خاصة في استيراد الصوف الرفيع من اسبانيا لصناعة الشاشية، كما أن هناك عوامل ساعدت في تنفيذ تلك السياسة و إنجاحها من بينها دور الأندلسيين المتقدمين بثقافتهم وصناعتهم ومهارتهم في تونس، والدور الذي قام به (يوسف صاحب الطابع) من خلال تشجيعه لأهل الحرف الذين لهم صناعات صغيرة محلية ، وأيضا إلى نشاط الرقيق الأوربي في تونس بالنسبة للصناعات البدوية البسيطة في ذلك العهد [1] .

2-أنواع الصناعات التي ازدهرت في تونس:

أ- صناعة الشاشية:

كانت هذه الصناعة موجودة في تونس منذ العصور السابقة، ولكنها ازدادت تطورا في العهد الحسيني ، وهذا لما لقيته من تشجيع وخاصة في سنة 1724م، وازداد عدد الأهالي الذين يعملون بها إلى أكثر من 15 ألف نسمة، واستمرت صناعة الشاشية في النشاط و الزيادة و الإتقان، ولما تولى حمودة باشا الحكم،اهتم بهذه الصناعة،وأولاها عناية خاصة وذلك بتمويلها وحمايتها، ومما حمس حمودة باشا على ذلك هو أسعارها المغرية و المتزايدة في كل سنة،بالإضافة إلى أسواقها المنتشرة في أكثر بلدان الإسلام وغيرها، وقد بلغ اهتمام حمودة بهذه الصناعة حدا جعله يعقد معاهدة صلح مع اسبانيا لتأمين الصوف الممتاز لها[2] .

ب- صناعة النسيج:

كانت صناعة النسيج تنحصر في الأصناف التالية : نسج الكتان ونسج الحرير والصوف، ولم تأتي سنة 1785م حتى أصبحت تونس العاصمة ملأى بالصناع ، يصنعون الأجواخ الحسنة جدا والبالغة الدقة والنعومة، ولم تقتصر تلك الصناعة على مدينة تونس، بل ازدهرت في مراكز عديدة

---

[1] – رشاد الإمام ، مرجع سابق ، ص ص. 284-285.

[2] – حفيظة بوتوقوماس ، مرجع سابق ، ص. 100.

أخرى من البلاد،من أهم تلك المراكز جزيرة جربة، وهي المكان الذي تصنع فيه الشالات الممتازة، بل أدق شالات شمال إفريقيا و أتقنها، وبجانب الشالات كانت جزيرة جربة تصنع الكثير من المنسوجات الصوفية الفاخرة والشهيرة من أهمها البرانس والبطانيات والفراشيات والوزر،وقد درت تلك الصناعات على الجزيرة من الأرباح ما جعلها تتمتع بأرفع مستوى معيشة في إفريقيا جميعها، كما اشتهرت أيضا منطقة مدينة (توزر) بمصانع المنسوجات الصوفية المتقنة الصنع [1] .

جـ- صناعة الحلي:

هذه الصناعة اختص بها اليهود سواء في العاصمة أو خارجها ، وقد اشتهرت عدة مصنوعات مطرزة بالذهب والفضة من بينها الأقراط ومحافظ الجيب والسروج وجميع المجوهرات بالإضافة إلى الطبنجات وغيرها من الصناعات المهمة التي تعود بالفائدة على البلاد .

د- صناعة العطور:

كانت الأشجار المزهرة في البلاد التونسية كثيرة و ممتازة في نوعيتها ، نجد منها الورود التي أعطت ماء الورد و ماء الياسمين وماء الزهر ، ومنها تستخرج أنواع العطور التي لا تقل عن التي توجد في بلاد الهند الغالية الثمن ، وقد حول التونسيون تلك العطور إلى إمكانيات تجارية ومصالح اقتصادية، و أن عطور الورد من أهم أنواع العطور التونسية المصدرة إلى الخارج بكميات كبيرة ، ولجودة تلك العطور وقيمتها التجارية في الخارج فإنها لقيت رواجا كبيرا [2].

هـ- صناعات أخرى:

من تلك الصناعات صناعة الخزف والسجاد والجلد ، والصناعات المكونة من الجلد وصناعة الحلفاء ، وجميع هذه الصناعات كانت تصدر منها إلى الخارج كميات كبيرة تدر على البلاد أموالا طائلة [3] .

---

[1] – رشاد الإمام ، مرجع سابق ، ص ص. 289-290.

[2] – حفيظة بوتوقوماس ، مرجع سابق ، ص.102.

[3] – رشاد الإمام ، مرجع سابق ، ص.285.

ثالثا_التجـارة:

1-الاهتمام بالأسواق وتنظيمها:

لقد أدى تنوع الإنتاج الصناعي و الزراعي إلى وجوب إيجاد أسواق لمحاولة تنظيم عملية البيع والشراء ، وعلى هذا الأساس فقد قام حمودة باشا إلى تأسيس أسواق داخلية عديدة أهمها:

أ- سوق الباي: كانت مختصة في تجارة السجاد والأقمشة الحريرية ، وتباع فيها أيضا الأقمشة الصوفية .

ب- سوق الشواشين: تحتوي على سوقين وهما السوق الصغير والسوق الكبير تم بنائهما بين سنتي 1782م إلى 1814م ، وكانت جماعة حرفي الشاشية ، إحدى أهم الجماعات والحرف المتعلقة بالشاشية حيث كانوا يمارسون نشاطا تجاريا مربحا ، وكانت حكرا على مدينة تونس ، وقد كان لهذا القطاع أمين يسهر على آداب المهنة وأخلاقياتها ، ويعمل على تسوية النزاعات .

جـ- السوق الجديد: أسس هذه السوق يوسف صاحب الطابع ، وأشرف على تدشينها الباي حمودة باشا سنة 1813م ، وفيها أنشطة تجارية مختلفة [1] .

2- التخلص من هيمنة التجار الأجانب:

قام حمودة باشا بمنع التجار الأجانب من ابتياع المحصولات الزراعية برسم وبيعها للخارج، من المزارعين مباشرة ، بل يجب أن يتم ذلك بواسطة تجار تونسيين ، وقد اتخذ الباي هذا التدبير لسببين هما ضمان ربح للتجار المحليين على كل صفقة من ناحية ، ومن ناحية ثانية حماية الفلاح من الغبن الذي كان يحصل له عندما يبيع كل محصوله أو جزءا منه قبل وقت الحصاد بأثمان بخسة، ولئن كان التجار اليهود يعتبرون تونسيين وتمتعوا بقسط وافر من فوائد ذلك الأمر العلي، حيث كانت لهم امتيازات خاصة مع الخارج ، ولكن حظهم في التجارة في الداخل كان محدودا، حيث أصدر حمودة باشا في ديسمبر 1788م أمرا يتعلق بتحديد البضاعة التي يسمح لليهود الاتجار فيها، وهي جميع ما يكال بالذراع ويوزن بالميزان من حرير وغيره [2] .

---

[1] - حفيظة بوتوقوماس ، مرجع سابق ، ص. 108.

[2] - رشاد الإمام ، مرجع سابق ، ص ص. 292-293.

والى جانب ذلك، نشط الباي التجارة الداخلية التي تتم عن طريق القوافل التجارية العاملة في الجنوب والشمال، وكان لها فضل في ترويج البضاعة وتنشيط التجارة ، وكذلك قام الباي ببناء قنطرة بنزرت،والتي ربطت أخصب جهة تزرع فيها الحبوب وهي المنطقة الشمالية بالعاصمة والنواحي المجاورة لها،كما استغرق الباي في بنائها ما يزيد عن خمسة عشر سنة ، وتمت سنة 1800م، بعد أن صرف الباي على إقامتها أموالا كثيرة [1] .

كما استفادت تونس من النشاط التجاري الناتج من الحج إلى مكة المكرمة،لأنها أصبحت مكانا لاجتماع الحجاج العائدين من المغرب والجزائر وتونس، ففي بداية القرن 19م كان عدد الحجاج 200038 الذين أرادوا مغادرة تونس مع الشاشية والزعفران والمسك والأعشاب والتوابل والأقمشة وغيرها،ومع مرور الوقت غدر أكثر الحجاج عن طريق البحر حيث غادرت السفن من تونس وسوسة وصفاقس مع 200150 حاج [2].

[1] – حفيظة بوتوقوماس ، مرجع سابق ، ص. 109.

[2] – Gavin Mcquarrie , **European influence and tribal society in Tunisia during the 19th centry**, A thesis submitted in fulfillment of the requirements for the degree of Doctor of Philosophy , Department of Geography , university Durham , june 1995 , p.37.

المبحث الرابع : الميدان الاجتماعي والصحي والثقافي

أولا_الجانب الاجتماعي:

1- إبطاله لبعض العادات السيئة:

كانت في تونس بعض العادات الاجتماعية السيئة ، وقد عمل حمودة باشا على تطهير البلاد منها ، ومن انجازاته في هذا الأمر أنه منع اللعب برؤوس قتلى الحرب الأجانب ، وتفصيل ذلك أنه في سنة 1791م ، وأثناء الحرب التونسية – البندقية ، انسحب البنادقة في واقعة من الوقائع و أبقوا وراءهم أربعة جنود موتى و أربعة أحياء ، فأخذ التونسيون الموتى وقطعوا رؤوسهم وبعثوا بها إلى العاصمة حيث لعب بها الرجال مثل ما يلعبون بالكرة ، ولما سمع حمودة باشا بذلك استبشع أن يحصل ذلك الأمر في عهده واستنكره استنكارا شديدا ومنع ممارسة ذلك العمل منعا باتا ، ومن انجازاته في هذا الأمر سماحه ليهود تونس بركوب البغال والحمير بعد أن كان ذلك ممنوعا عليهم [1] .

وفي سنة 1802م أبطل الباي حمودة باشا ما كان يعمل به ليلة عاشوراء المعروف بقعيد عاشوراء ، حيث يقوم بعض الأفراد من العامة بحمل ما يشبه رأس الإنسان ويدورون به في الأزقة والحارات بمشاعل وهم يصرخون من أجل التكسب، فأفتى بعض العلماء بأن هذا من فعل الشيعة من أهل البدع ، يتذكرون به مصرع سيدنا الحسين رضي الله عنه بكربلاء في عاشوراء، وقد كان ذلك في دولة بني عبيد من أبناء علي وفاطمة رضي الله عنهما [2] .

2-تشدده في محاربة عادة شرب الخمر و الزنى:

انتشرت بعض السلوكات التي انحرفت عن قيم ومبادئ المجتمع التونسي ومن بينها عادة شرب الخمر و الزنى ، وقد عمد حمودة باشا إلى محاربتهما، بالنسبة لشرب الخمر بدأ الباي بذاته بعد أن حرمه على نفسه منذ بداية توليه العرش، ورغبة منه في تعميم هذا الأمر دعى أفراد شعبه إلى نبذ تلك العادة السيئة اقتداء به، ثم أصبح يعاقب كل من يشرب الخمر ، وللحد من استمرار تعاطي تلك الرذيلة في البلاد نجد حمودة باشا ينتهج سياسة صلبة فيما يتعلق باستيراد الخمر من

---

[1] – رشاد الإمام ، مرجع سابق ، ص. 330.

[2] -أحمد ابن أبي الضياف ، مصدر سابق ،ج.3 ، ص. 36.

قبل الأجانب القاطنين بتونس، وفي التحذير على بيعه للمسلمين ، حيث كانت الرسوم التي يدفعها التجار الأجانب على الخمور المستوردة من الخارج كانت تبلغ نصف ثمنها إن لم تتعداه ، أما بالنسبة لرذيلة الزنى فقد كانت مقاومة الباي لها في غاية الشدة ، وكانت أحكامه في هذا المجال صارمة وهي أنه عندما تكون الجانحة مسلمة توضع في كيس وتغرق حية في البحيرة قرب مدينة تونس ، ثم تعرض على الجمهور لتكون عبرة لمن يعتبر ، أما العقاب الذي يسلط على الرجل الزاني فهو قطع الرأس فورا إذا كان غير مسلم ، ولم يحد حمودة باشا عن ذلك الحكم إلا مرة واحدة في حياته حيث اكتفى بطرد المتهم الذي كان أحد أطبائه من تونس نهائيا [1].

ثانيا_ الجانب الصحي:

1- إتباع طرق وقائية لمنع انتقال العدوى بين الناس:

لقد تعرضت البلاد التونسية في فترات متعددة إلى أوبئة حصدت عددا كبيرا من الأرواح وساهمت في تدهور الأوضاع ، منها وباء سنة 1783م ، وهو المعروف "بالوباء الكبير" ، مات بسببه أعيان من الحاضرة ، وعند ظهوره صدر أمر من الباي يقضي بحرق ثياب الموتى وكسوة بيوتهم وغلقها ، كإجراء احتياطي ووقائي لمنع تفشي هذا الوباء [2] .

لكن هذا الوباء لم يكن الوحيد الذي أصاب البلاد فهناك أيضا على سبيل المثال:

- في سنة 1784م: ظهر وباء كبير حيث قتل العديد من السكان ، وكان عدد الضحايا 185ألف شخص .

- في سنة 1785م: أرست سفينة بمدينة سوسة آتية من اسطنبول وكانت حاملة أناسا مصابين بالطاعون، ومن تلك المدينة انتشر الوباء في كامل البلاد التونسية.

- في سنة 1790م: رجع الوباء بكل شدة إلى تونس، ومات بسببه العديد من أهم رجال البلاد العاملين الناشطين، وبعد أن عم البلاد بسرعة مذهلة خلف ورائه مئات الآلاف من الموتى.

ومن خلال هذه الأوبئة التي انتشرت في عهده،اتخذ الباي حمودة عدة إجراءات حديثة

---

[1] – رشاد الإمام ، مرجع سابق ، ص ص. 328–329.

[2] – أحمد ابن أبي الضياف ، مصدر سابق ،ج.3 ، ص. 14.

للوقاية أهمها: فحص جميع السفن القادمة إلى تونس من الخارج وتفحصها بكل دقة وصرامة ، وفي أيام وباء سنة 1783م كما قلنا ، اتخذ الباي إجراءات مشددة واجبة بدفن الموتى عن عمق يزيد عن المتر بعد أن كانت الجثث تظهر من التراب [1].

2- جلبه لأطباء من الخارج:

لقد ظهر عدة أطباء أجانب كانوا يعملون في تونس في عهد حمودة باشا ، أول هؤلاء "ديفونتان" والذي أقام في تونس مدة سنتين (1783م-1785م) يبحث عن أغرب النباتات ، ومن الجدير بالذكر هو أن حمودة باشا قدر مواهب ذلك الطبيب و سمح له بمصاحبته أثناء خروج المحلة داخل البلاد التونسية وهو شرف لم ينله أحد من النصارى قبله ، وفي سنة 1784م كان لحمودة باشا طبيب من رعايا البندقية هو"S.Gazzo " ، بعد حوالي تسع سنوات أصبح حكيم الباي الخاص ايطالي الجنسية عالجه من وعكة صحية ألمت به ، ومن سنة 1795م استقر بتونس الطبيب الجنوي " Mendrici " الذي أصبح سنة 1797م طبيب الباي الخاص أيضا ، ومن الظاهر أن هؤلاء الأطباء كانوا ملحقين بخدمة الباي وعائلته وجيشه ، غير أن هذا لا ينفي أن بعضهم كان يعالج غير تلك الطبقة المحظوظة [2] ، كما نجد أيضا الدكتور لويس فرانك (Dr. louis frank) الذي أتى إلى تونس مرتين سنة 1802م وأخرى سنة 1806م ثم صار الطبيب الخاص للباي [3] .

كان حمودة باشا شديد الاحترام لهؤلاء الأطباء الأوربيين ، ذلك أنه سنة 1784م والحرب على أشدها بين تونس والبندقية، أمر الباي بترحيل جميع أفراد الجالية البندقية من تونس ، ولم يستثن إلا شخص واحد هو الطبيب " Gazzo "، ومن ذلك أيضا أن حمودة باشا علم بأن إحدى نساء القصر كانت لها علاقات مريبة مع أحد الحكماء الأوربيين ، وعلى الرغم من أن حكم الباي كان معروفا في هذا الأمر وهو قطع رأس المتهم، فقد اكتفى بطرد الطبيب من البلاد، وبسبب معاملة الباي الحسنة للأطباء الأجانب واحترامه لهم، كان الأهالي يعاملونهم بالتقدير والاحترام[4].

---

[1] – حفيظة بوتوقوماس ، مرجع سابق ، ص ص .161-163.

[2] – رشاد الإمام ، مرجع سابق ، ص ص .334-335.

[3] – عبد العزيز الدولاتلي ، **أضواء تاريخية على بحيرة تونس** ، م.ت.م ، العدد 3، 1975، ص .35.

[4] – نفســه ، ص. 336.

ثالثا_الجانب الثقافي:

1- احترامه للعلماء :

اهتم حمودة باشا كثيرا بعلماء عصره و راعى مطالبهم، ومن بين الأمثلة على ذلك ما قدمه لأحد العلماء ويدعى صالح الكواش حين قصده وقال له : ((إن والدك علي باي أولاني المدرسة المنتصرية ، وأنا ساكن بدار وقفها ، فتداعت وتعذرت السكنى بها ، والحبس لا يفي ، ولي حق في بيت مال المسلمين)) ، فقال له الباي: ((نبني لك من الغد دارا على ما تريد ، ونشتري لك ما ترضاه من الدور ، وتكون ملكا لك و لأبنائك ، وهذه الدار تبنى من الوقف)) ، وقد استغرق بناء هذه الدار حوالي شهرين لينتقل إليها صاحبها [1] .

ومن الأمثلة أيضا علاقة الباي بالشيخ علي الباهي حيث ذكر صاحب الإتحاف : ((... وله رتبة عالية وامتزاج قوي مع الباي أبي محمد حمودة باشا ، يقوم للسلام عليه، ويجلسه في مجلس التكريم ، ويركب معه في شريوله إلى منوبة ، إذا جمعهما الطريق، رغبة في محادثته، وتلذذا بمجالسته ، التي لا تمل...)) [2] .

كما شجع العديد من العلماء أمثال:

أ- **علي خفيف:** كان عالما عاملا من مدينة صفاقس، حيث ساهم في نشر العلوم في الحاضرة .

ب- **محمد زعفران:** كان عالما فقيها معظما، تدرج في الخطط العلمية، وولي القضاء ببلده المنستير .

جـ- **إسماعيل التميمي:** من أشهر الفقهاء المالكية في تونس،عرف بالتميمي نسبة لبلد مسقط رأسه منزل تميم،أختلف في تاريخ مولده فهناك من يقول أنه ولد سنة 1751م،ومن يقول أن مولده سنة 1765م[3]، كان من علماء جامع الزيتونة ومدرسيه و أولاه حمودة باشا خطة قضاء مدينة تونس سنة 1806م،ثم نقل لخطة الفتوى سنة 1816م [4] .

---

[1] – أحمد ابن أبي الضياف ، مصدر سابق ، ج.7، ص.45.

[2] – نفسـه ، ص.120.

[3] – محمد ابن الخوجة ، **صفحات من تاريخ تونس** ، مصدر سابق ، ص.406.

[4] – حفيظة بوتوقوماس ، مرجع سابق ، ص. 203.

2- ظهور طرق ومواد تعليمية حديثة:

اختلفت طرق التعليم من مدرس لآخر، من بينها ما ذكره لنا صاحب الإتحاف عن طريقة إبراهيم الرياحي في التدريس : ((... وكيفية إلقائه أنه ينقل الدرس،ويمليه من حفظه، ثم يقرر ما يظهر له ، ثم يسرد كلام المصنف،على كيفية تبعث النشاط في النفس،هو أول من اخترعها، واتخذها فحول العلماء من بعده ...)) [1] .

و من بين الطرق أيضا ما جاء به حسن الشريف الذي وصف أحمد ابن أبي الضياف طريقته في التدريس بقوله: ((... كان يفاكه تلاميذه في الدرس، خشية سآمتهم،وإذا بحث أحدهم بحثا، يحسن الإصغاء إليه، ويعيده للطلبة بأوضح عبارة، ويقول لهم : هل ظهر لأحدكم جوابه؟، وإذا أجابه أحد يصغي إليه، ويعيده أيضا، تدريبا لتلاميذه على المباحثة ، وتلذذا بنجابتهم ، فإذا خرج أحدهم عن أدب البحث، يقطع المباحثة، ويجيب التلميذ، ويقبل على درسه...)) [2] .

أما ما يتعلق بالمواد الحديثة التي كانت تدرس في عهد حمودة باشا فهي علوم الفلك و الطبيعة والموسيقى، كان معظمها يعلمها العلامة إبراهيم الرياحي بجامع الزيتونة ، أما مواد علوم المساحة والهندسة أيضا، فقد كان يدرسها العالم محمد الفاسي بجامع الزيتونة أيضا ، وذلك بعد أن ارتحل هذا المدرس عن مسقط رأسه فاس بالمغرب الأقصى واستقر بتونس العاصمة ، كما أن حمودة باشا لم يشجع الحركة الشعرية التي كانت قد انتشرت في عهد والده، و أنه كان لا يفتح إذنا لإطراء المادحين ويقول : ((من مدحك بما ليس فيك، جدير أن يذمك بما ليس فيك ، وأنا أعلم به من نفسي، وحالة بلادي، وتصرف الملوك تابع لحال المملكة، ويقبح بالإنسان أن يجهل مقداره ويتعدى أطواره .)) [3] .

---

[1] – أحمد ابن أبي الضياف ، مصدر سابق ، ج.7، ص. 74.

[2] – نفسه ، ص. 70.

[3] – رشاد الإمام ، مرجع سابق ، ص ص .357-358.

الخاتمة

الخاتمـــــة:

لقد دخلت تونس في عهد جديد من تاريخها بقدوم حمودة باشا الحسيني،هذا بفضل سياسته الحكيمة وحنكته المستمدة من تاريخه الحافل بالانجازات حتى قبل وصوله للسلطة حين كان وليا للعهد أيام والده "علي باي" ، وبجلوسه على العرش تغيرت ملامح البلاد التونسية نحو الأفضل في مختلف المجالات ، وهذا الانجاز لم يأتي من العدم بل مرده إلى شخصية الباي حمودة القادرة على تولي المسؤوليات والى قوة حزمه وغيرته على الوطن واندفاعه الشديد نحو كل ما يجلب المنفعة والخير للبلاد .

كما استفاد من خبرات الموظفين الحكوميين لديه من وزراء ومستشارين ، إضافة إلى ترقبه ومواكبته لما توصلت إليه دول الخارج خصوصا ما كان يحدث في أوربا من تطور وازدهار بفضل ثورتها الصناعية والفكرية، وبناء على ما سبق فقد استغل حمودة باشا العوامل السابقة لصالحه، وسعى لبذل كل الجهود حتى يحسن من وضع البلاد الداخلي، ومن أهم الاستنتاجات التي توصلنا إليها في هذه الدراسة حول سياسة هذا الباي ما نوجزه كالآتي:

–أثبتت الدراسة أن الباي استطاع توحيد الكلمة و إبعاد الفتنة والمؤامرات حيث قام بتحسين العلاقة المتوترة بين أفراد العائلة الحسينية، فقرب إليه ابن عمه محمود باي وأخواته وسعى إلى تلبية مطالبهم ومجاملتهم، كما قام بتقليص دور الأتراك في البلاد، حيث كانوا يترفعون عن السكان الأصليين، وقد بلغ بهم الأمر إلى التمرد على الباي ونظرا إلى طبيعة الأتراك العسكرية المتأصلة وجهلهم للأمور الإدارية والفنية، سعى الباي إلى إعطاء التونسيين نصيبهم للمشاركة في حكم البلاد، و بادر إلى ضخ دماء جديدة وفكر جديد في الدولة من خلال تعيين الشباب في المناصب الإدارية

– تقوية الجيش من أجل حفظ الاستقرار في البلاد والدفاع عنها من الأخطار الخارجية خصوصا المضايقات الجزائرية و تدخلها في أمور تونس، وقد عمد الباي إلى جلب العناصر المحلية وتدريبهم من أجل إدماجهم في جيشه فيما بعد، ومما دفعه لهذا الأمر هو علاقته التي

تميزت بالحيطة والحذر بالأتراك الذين قاموا بإحداث الفوضى والاضطرابات كما حدث سنة 1802م في العاصمة، وليكون الجيش أكثر فعالية قام ببناء المصانع الحربية و تدعيمه بالأسلحة المتطورة خصوصا الأوربية منها، ولقد نجح الأمر حين أثبت الجيش كفاءته وقدرته القتالية من خلال الحروب التي خاضتها تونس في السنوات القادمة وحقق فيها الجيش التونسي انتصارا باهرا أبرزها حربه ضد الجزائر سنة 1807م .

– كما أثبتت الدراسة أن الباي اتبع سياسة اقتصادية قائمة على تنمية الإنتاج الوطني وتشجيعه و تأمين الحماية له، وقد نجح الباي في تطبيق سياسته حيث وفر المناخ المناسب للفلاحين للعمل وأسقط عنهم ما كانوا يدفعونه من ضرائب باهظة أدت بهم إلى العزوف عن أراضيهم، و تشجيع الصناعات المحلية بإبطال عادة لبس المصنوعات الأجنبية المستوردة من الخارج ، حيث بدأ بنفسه ليحذوا حذوه أعوانه و الأهالي، كما قام بتنشيط التجارة الداخلية و التي استمدت خاماتها الأولية من المنتوجات المحلية، وتنظيم عملية المبادلات التجارية في أسواق جديدة مثل سوق الباي، وبهذا أقبلت الناس في دولته على الفلاحة و المتاجر والصناعات وكثر العمران ونمت الأموال و ظهرت الثروة .

– أبطل الباي بعض العادات السيئة الدخيلة على المجتمع التونسي ، وهذا من أجل تغيير الذهنيات وتصحيح سلوكات أفراد المجتمع، والمساهمة في البناء العلمي والحضاري، و أهم ما كان يؤرق المجتمع هو الجانب الصحي، فقد عرفت تونس خلال فترات مختلفة أمراضا و أوبئة ساهمت في تأخير المجتمع وإضعافه، لهذا عمل الباي على ضمان طرق من أجل حماية الرعية ولو بدرجات قليلة من الوقاية، وعمل على جلب أطباء وخبراء للخدمة في تونس، وبهذا تفتحت تونس على بعض مظاهر الحضارة الغربية و انجازاتها .

الملاحق

ملحق الخرائط:

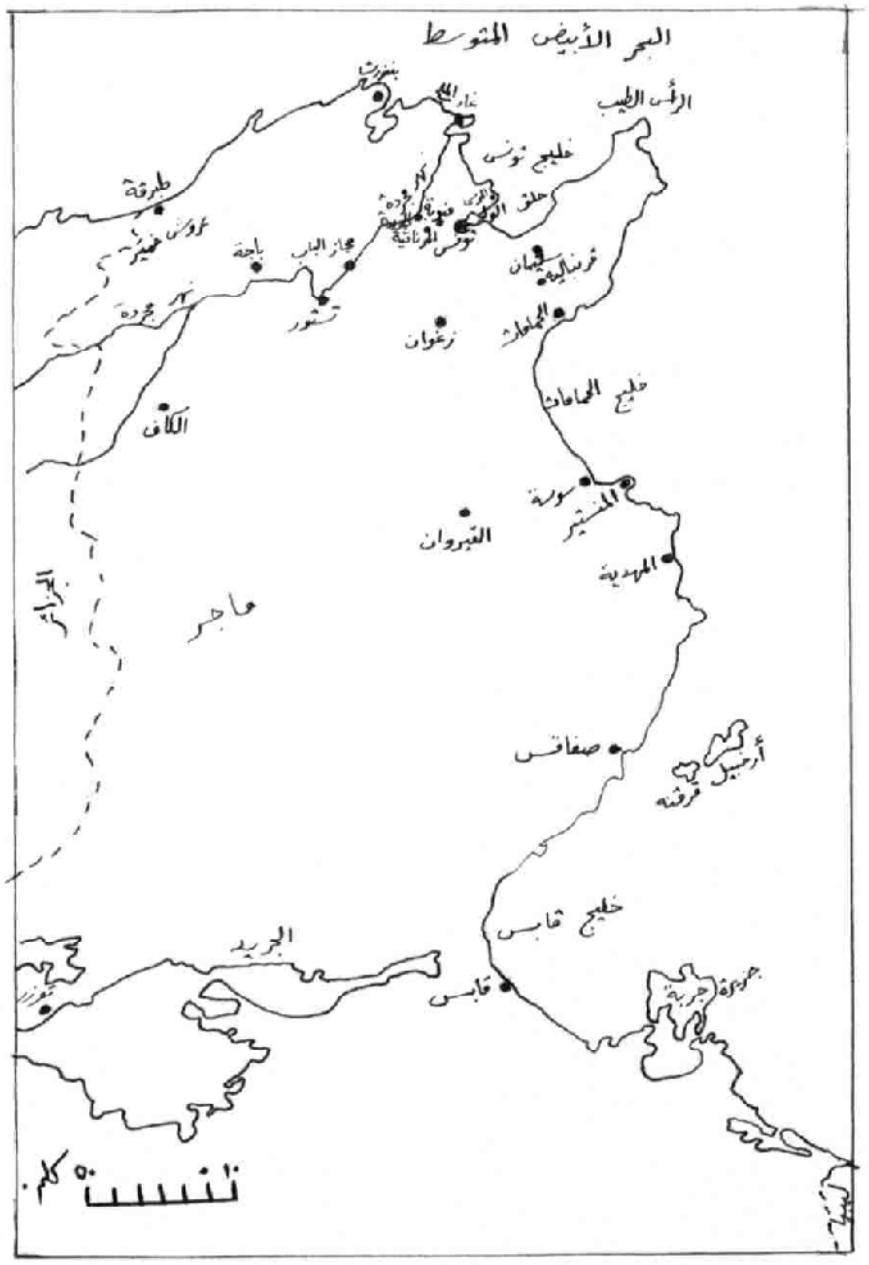

الشكل 01: خريطة البلاد التونسية ، رشاد الإمام،مرجع سابق،ص. 468.

ملحق العمران:

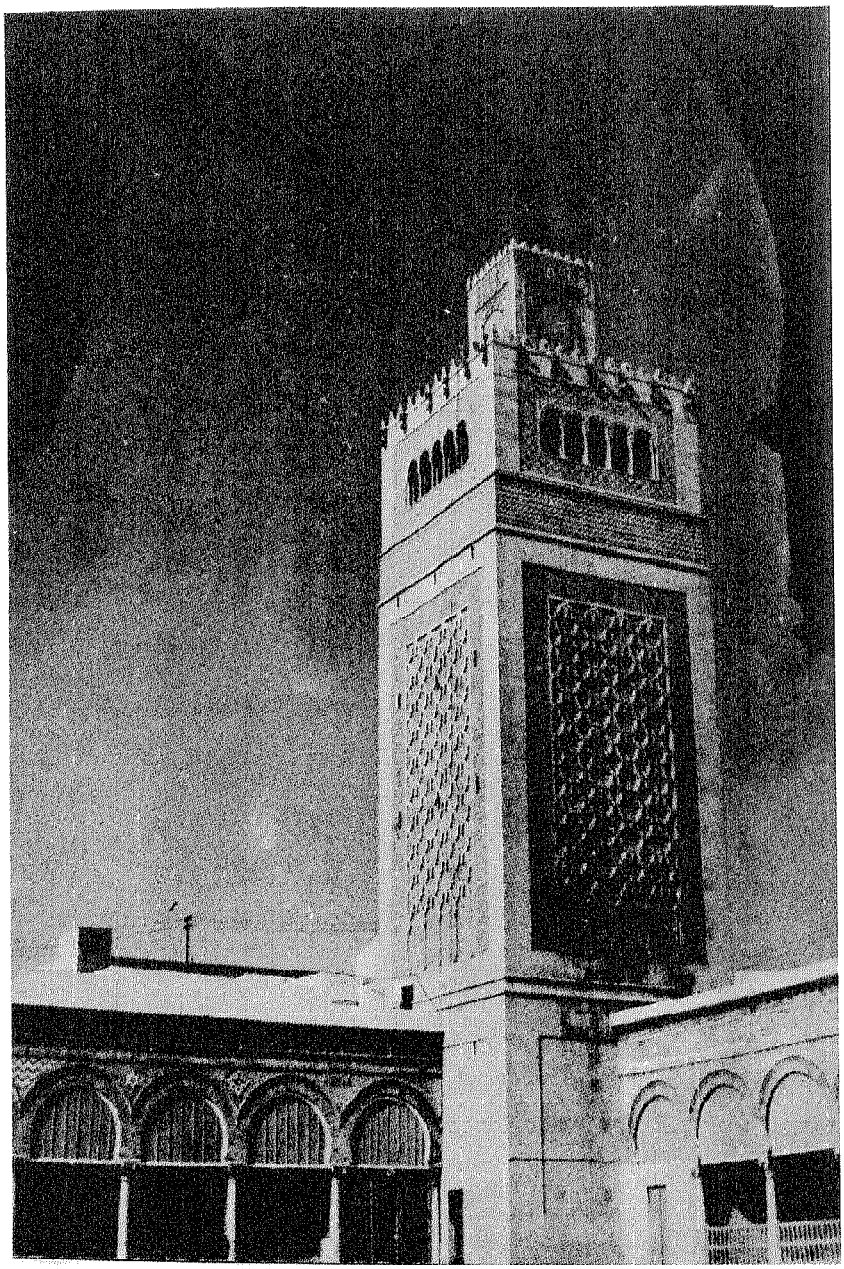

الشكل01: جامع الزيتونة،محمد ابن الخوجة،صفحات من تاريخ تونس، مصدر سابق، ص.287.

الشكل 02: جامع القصبة، محمد ابن الخوجة،**تاريخ معالم التوحيد،** مصدر سابق،ص.159.

ملحق الصور الشخصية:

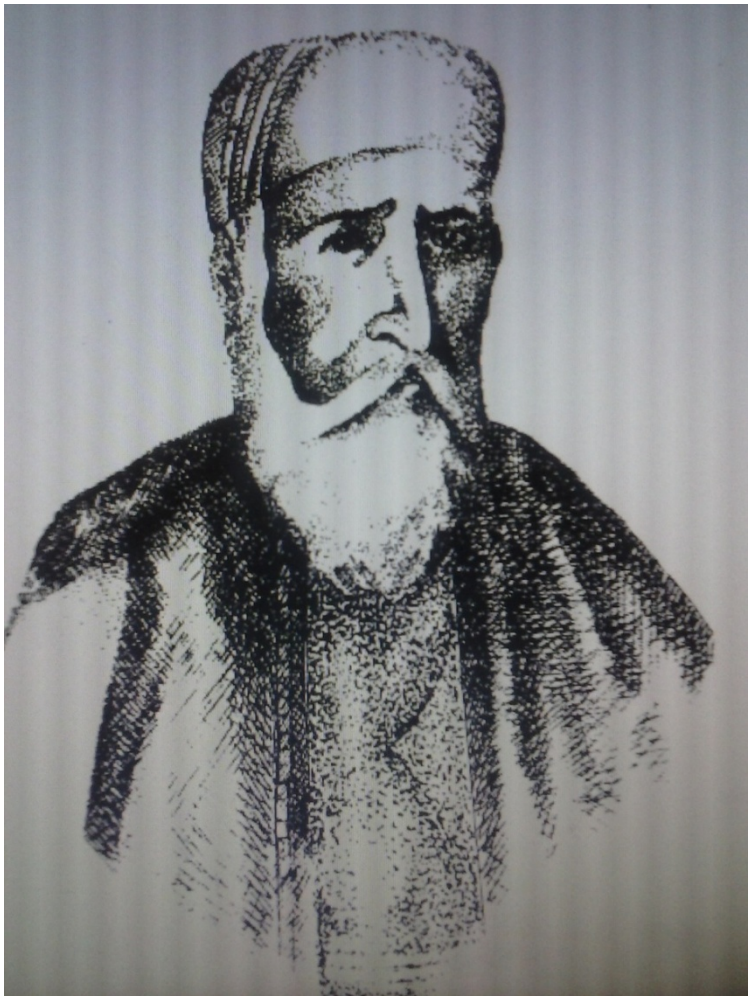

الشكل 01: حسين بن علي (1705م-1735م)،حفيظة بوتوقوماس، مرجع سابق،ص.230.

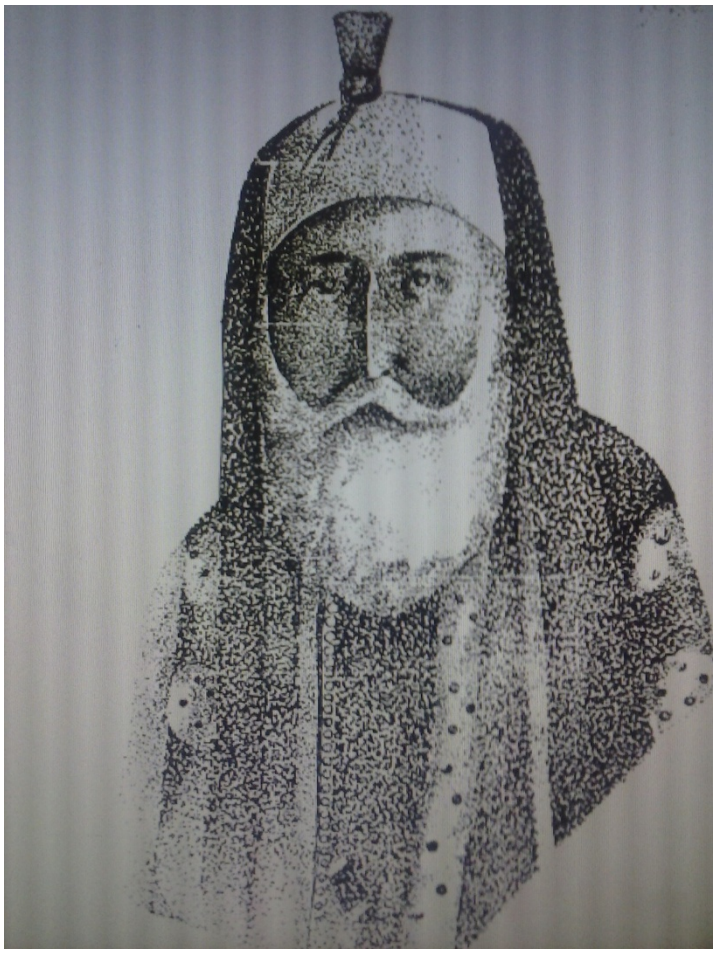

الشكل 02: علي باشا (1735م-1756م) ، حفيظة بوتوقوماس، مرجع سابق،ص.231.

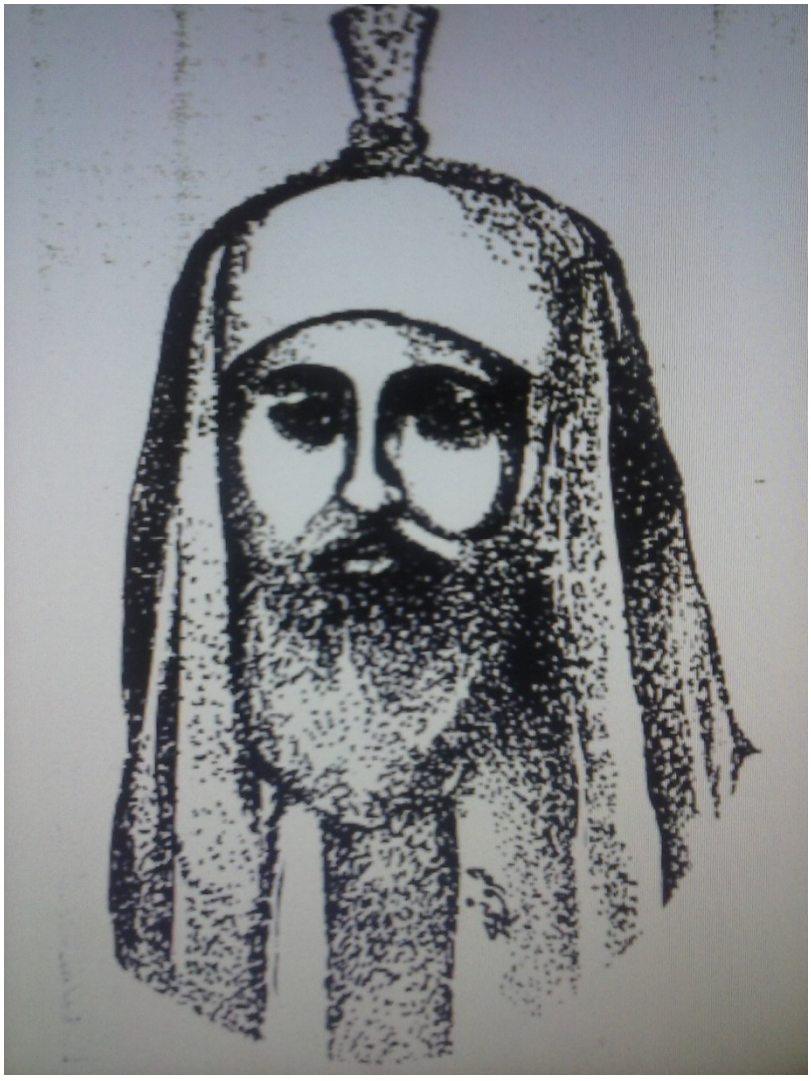

الشكل03: محمد الرشيد (1756م-1759م)،حفيظة بوتوقوماس، مرجع سابق،ص.232.

الشكل 04: علي باي (1759م-1782م)،حفيظة بوتوقوماس، مرجع سابق،ص.233.

الشكل05: حمودة باشا (1782م-1814م)،محمد ابن الخوجة،**صفحات من تاريخ تونس**، مصدر سابق،ص.326.

البيبليوغرافيا

أولا_المصادر والمراجع العربية والمعربة:

1-المصادر:

1- الأندلسي أبي عبد الله محمد بن محمد، **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1985.

2- بايسونال أندري، **الرحلة إلى تونس (1724)** ، تر وتح : محمد العربي السنوسي ، مركز النشر الجامعي،تونس،2004.

3-التونسي خير الدين،**أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك**، تق:محمد الحداد،ط.1،دار الكتاب اللبناني،بيروت،2012.

4- ابن الخوجة محمد، **صفحات من تاريخ تونس**، تق وتح : حمادي الساحلي و الجيلاني بن الحاج يحيى، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1986.

5- نفســـه، **تاريخ معالم التوحيد في القديم والجديد**، تح وتق : الجيلاني بن الحاج يحيى وحمادي الساحلي، ط.2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1985.

6- السنوسي أبي عبد الله محمد بن عثمان، **مسامرات الظريف بحسن التعريف**، تح وتع: محمد الشاذلي النيفر،ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،1985 .

7- ابن أبي الضياف أحمد، **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، الدار العربية للكتاب ، تونس، 1999، ج.3،ج.7،ج.8.

8- ابن عبد العزيز حمودة بن محمد، **الكتاب الباشي**، تح: الشيخ محمد ماضور، الدار التونسية للنشر،1970.

9- مخلوف محمد بن محمد، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**،المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1350هـ، ج.2.

10- المسعودي محمد الباجي، **الخلاصة النقية في أمراء افريقية**، ط.2، مطبعة بيكار، تونس، 1975.

11- هابنسترايت ج.أو، **رحلة العالم الألماني ج.أو.هابنسترايت إلى الجزائر و تونس وطرابلس(1145هـ-1732م)**، تر و تق و تع ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي،تونس، 2008.

2-المراجع:

أ-الكتب:

1- الإمام رشاد، **سياسة حمودة باشا في تونس 1782م-1814م**، الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس،1979م .

2- بركات مصطفى، **الألقاب و الوظائف العثمانية**، دار غريب، القاهرة، 2000.

3- برون جفري، **تاريخ أوربا الحديث**، تر: علي المزروقي، ط.1، دار الأهلية للنشر والتوزيع، عمان ، 2006.

4- التيمومي الهادي،**تاريخ تونس الاجتماعي 1881 -1956**، ط.2،دار محمد علي الحامي، تونس، 2001 .

5- بن جمعة بلقاسم إبراهيم، **الاقتصاد والمجتمع في الايالة التونسية من 1861 إلى 1864**، الشركة العامة للطباعة، تونس، 2002.

6- الجمل شوقي عطاء الله،**المغرب العربي الكبير في العصور الحديثة**، ط.1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، 1977.

7- جوليان شارل أندري، **تاريخ إفريقيا الشمالية** ، تع: محمد مزالي والبشير بن سلامة، ط.3، الدار التونسية للنشر، تونس، 1978، ج.2.

8- رمضان عبد العظيم، **تاريخ أوربا والعالم في العصر الحديث**،الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د.ت، ج.2.

9- السروجي محمد محمود، **دراسات في تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر**، منشورات كلية الآداب،جامعة الإسكندرية، 1998.

10- الشريف محمد الهادي، **تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال** ، تع : محمد الشاوش، محمد عجينة، ط3 ، دار سراس للنشر، تونس، 1993.

11- صبري محمد، **تاريخ مصر الحديث من محمد علي إلى اليوم**، ط.1، دار الكتب المصرية، القاهرة ، 1926.

12- عبد الوهاب حسن حسني، **خلاصة تاريخ تونس**، دار الفنون، تونس، 1373هـ.

13- فارس محمد خير، **تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر**، منشورات جامعة دمشق،كلية الآداب، سوريا، 2002-2003 .

14- مانتران روبير، **تاريخ الدولة العثمانية**، تر: بشير السباعي، ط.1، دار الفكر،القاهرة، 1992،ج.2.

15- محفوظ محمد، **تراجم المؤلفين التونسيين**، ط1،دار الغرب الإسلامي،بيروت، 1986،ج.5.

16- مزالي محمد الصالح،**الوراثة على العرش الحسيني ومدى احترام نظامها**، الدار التونسية للنشر، تونس،1969.

17- مصطفى أحمد عبد الرحيم،**أصول التاريخ العثماني**، ط.2، دار الشروق،القاهرة، 1993.

18- نوار عبد العزيز سليمان، جمال الدين محمود محمد، **التاريخ الأوربي الحديث**، دار الفكر العربي،مصر،1999 .

19- الهمامي حمة،**المجتمع التونسي دراسة اقتصادية واجتماعية**،ط.1، صامد للنشر والتوزيع، تونس، 1989.

20- ياغي إسماعيل أحمد، **العالم العربي في التاريخ الحديث**، ط.1، مكتبة العبيكان،الرياض، 1997.

21- نفســه، **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**، ط.2، مكتبة العبيكان،الرياض، 1998.

ب-الرسائل الجامعية:

1- بوتوقوماس حفيظة،**الحياة الاجتماعية في تونس خلال العهد الحسيني 1705-1835**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2،الجزائر، 2010-2011

2- مايدي كمال، **علاقات تونس مع دول أوربا الغربية المتوسطية وتأثير البحرية فيها في عهد حمودة باشا من 1782م إلى 1815م** ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية ، قسم التاريخ ، جامعة غرداية ، الجزائر، 2011-2012.

جـ-الدوريات:

1- <u>المجلة الزيتونية</u>:

- ابن الخوجة محمد، **كرسي الملك الحسيني**، م.ز، العدد.1، 1936.

- نفســـه،**الألقاب والنعوت الملكية في البيت الحسيني**، م.ز، العدد.2، 1937.

- نفســـه،**القضاء الشرعي** ، م.ز، العدد.3، 1939.

2- <u>المجلة التاريخية المغربية</u>:

- الدولاتلي عبد العزيز،**أضواء تاريخية على بحيرة تونس**، م.ت.م،العدد.3، 1975.

د-المعاجم:

1- دهمان محمد أحمد ، **معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي**، دار الفكر، دمشق ، 1990.

2- الخطيب مصطفى عبد الكريم ، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية** ، ط.1، مؤسسة الرسالة، بيروت،1996.

3- صابان سهيل ، **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية**، مر: عبد الرزاق محمد حسن بركات، مكتبة الملك فهد الوطنية،الرياض، 2000.

ثانيا_المصادر والمراجع الأجنبية:

1-المصادر:

1-Ben youssef Mohamed seghir,**Chronique Tunisieene** , traduis par Victore Serres et Mohammed lasram ,2 éme ed,Bouslama ,Tunis , 1900 .

2-Dunant J.Henry **,Notice sur la régence de tunis** ,imprimerie de jules , paris ,1858.

3-Dunant M.Thomas, **Nouveau Voyage a Tunis** , traduit de l'anglais avec des notes par M.ragueneau ,paris ,1815.

2-المراجع:

أ-الكتب:

1- De la rive Abel clarive, **histoire generale de la tunis depuis l'an 1590 avant jusqu'en 1883**,librairie e.demoflys,paris ,1883 .

2-Raymond André,**Les Grandes villes arabes à l'époque ottomane**,Sindbad,Paris, 1985.

3- Valensi Lucette , **Fellahs Tunisiens l'économie rurale et la vie des compagnes aux 18 et 19 eme siècle** , ed mouton ,paris , 1977.

ب- الرسائل الجامعية:

1-Gavin Mcquarrie , **European influence and tribal society in Tunisia during the 19th centry**, A thesis submitted in fulfillment of the requirements for the degree of Doctor of Philosophy , Department of Geography , university Durham , june 1995.

الفهارس

فهرس الأعلام:

– أ –

- إبراهيم الشريف 3
- أبي زكريا يحيى 19
- أبو عمرو عثمان 19
- أبي حنيفة 20
- إسماعيل كاهية 22
- أبي عبد الله محمد 22
- إبراهيم الرياحي 25،58
- اركرايت 34
- إسماعيل التميمي 57

– ج –

- جاندي شونامي 4

– ح –

- حسين بن علي 1،2،4،10،12،17،20 ، 42،46
- حمودة باشا 8،10،20،30،31،32،33،34،26،27،28،29،22،23،24،25
35،36،37،38،39،41،42،43،44،45،46،47،48،49،51،52،54،55،56
57،58

- حسين خوجة 20
- حمودة بن مراد بك 1
- حمودة ابن عبد العزيز 29،48
- حميدة بن عياد 31
- حمودة الأصرم 32
- حسن الشريف 58

- خ -

- خدوجة (أخت حمودة باشا) 38

- د -

- دي توت 34
- ديفونتان 56

- ر -

- رجب بونمرة 31

- س -

- سنان باشا 20
- السراج 20
- سليمان بن علي باشا 26
- سليمان كاهية الثاني 30
- سلمان الفارسي 33
- سليم الثالث 34،35

– ص –

– صالح الكواش 7،57

– ع –

– علي التركي 1

– علي باشا 4،5،11،17، 22،26،27،29،30،38

– علي بن حسين 6،7،8،10،14،20

– عثمان داي 11،39

– علي باي المرادي 19

– عثمان باي 22،37

– علي برغل 28

– علي باشا القرمانلي 28

– علي المازغني 32

– علي ابن أبي طالب 33

– علي الباهي 57

– علي خفيف 57

– ق –

– قارة مصطفى 3

– قظوم ابن محمد 41

– ك –

- كرومبتون 34
- كاي 34

– ل –

- لويس الرابع عشر 20
- لويس فرانك 56

– م–

- محمد الورغي 7
- محمد ابن شكر 1
- مراد باي المرادي 1
- مراد أبو بالة 1
- مراد الثاني 1
- محمد باي ابن مراد 1
- محمد الرشيد 6
- المولى اسماعيل 5
- محمد بن محمد الشافعي الشريف 7
- مصطفى خوجة 8،22،26،27،28،29،44
- محمد خوجة 3،30
- محمود باي 8،22،23،26،31،37،38
- محمد المستنصر بن أبي زكرياء 19
- محمد المنتصر الحفصي 19
- محمد باي (أخو حمودة باشا) 22

- محبوبة (والدة حمودة باشا) 22
- محمد (ابن حمودة باشا) 22
- محمد الأصرم 30،31
- ماريانو ستينكا 32
- مصطفى الثالث 34
- محمد علي باشا 36،39
- محمد بن السبوعي 41
-محمد زعفران 57

- ن -

- نيكولاي تايل 4
- نابليون بونابرت 33

- هـ -

- هركريفر 34

- ي -

- يوسف خوجة صاحب الطابع 28،30،40،48،50،52

فهرس الشعوب و القبائل:

– أ –

- أسرة البايات المرادية 1
- الأسرة الحسينية 2،37،46
- الأندلسيون 15،50
- الأترك 5،6،16،38،39،40،42،43
- الأوربيين 40،43
- أولاد سعيد 17
- أولاد عيار17

– ب –

- البدو 32
- البنادقة 54

– ت –

- التونسيون 1،2،24،38،40،42،52،54
- التوانسة 16

– ج –

- الجزائريين 2،3،8 ،38،42
- الجنويين 5
- جلاص 17

– ح –

- الحفصيين 3،11

– د –

- دريد 17

– س –

- السود 5
- السواسي 17

– ش –

- الشيعة 54

– ص –

- الصنهاجيين 3
- الصبايحية 43

– ط –

- الطرابلسيين 31

– ع –

- العثمانيين 1،5،34،36،38
- العرب 15

– ف –

- الفندال 15
- الفراشيش 17
- الفرنسيون 27،42،46
- الفرس 33

– ق –

- القوط 15
- القرانة 16
- قرجية 22

– ك –

- كراغلة 16،2

– م –

- مماليك 43،40،39،2
- الموحدين 3
- الموريسكيون 15
- ماجر 17
- المثاليث 17
- المسلمين 33،24
- المخازنية 40
- المرزاقية 4

– ن –

- النصارى 56
- نفات 17

– هـ –

- الهمامة 17

– و –

- ونيفة 17

– ي –

- اليهود 16،40،51،52

فهرس البلدان والأماكن:

– أ –

- اسبانيا 12،15،48،50
- إفريقيا الغربية 14
- الأندلس 15
- أريانة 16
- اسطنبول 55
- الآستانة 34

– ب –

- باردو 7
- البرتغال 12
- بلي 16
- باردو 25،32،39،42
- البندقية 25،48،54،56
- البغدان 28
- بنزرت 30
- بريطانيا 31
- باجة 46

– ت –

– تونس 1،2،3،4،7،9،11،12،14،15،16،17،18،19،20،21،23،25،27،
28،29،30 ، 31،32،37،38،39،40،42،43،44،46،48،،49،50،53،54،55،
56،57،58

– توزر 51

– تركيا 40

– تولون 43

– ج –

– الجزائر 3،6،8،14،25،30،31،38،42،53

– جبل طارق 14

– جربة 13،29،31،49،51

– جنوة 3

– جامع الزيتونة 26،58

– الجريد 49

– ح –

– حلق الوادي 27،30

– ر –

– رأس النيقرو 13

– روسيا 34

- ز -

- زغوان 16

- س -

- السلوقية 16
- سوسة 49،53،55
- سوق الباي 52
- سوق الشواشين 52
- السوق الجديد 52

- ش -

- شريولة 57

- ص -

- صفاقس 10،13،45،53

- ط -

- طبرقة 5،14
- طرابلس 28،29

– ف –

- فاس 58،18
- فرنسا 48،44،43،33،4

– ق –

- قرنبالة 16
- قلعة الأندلس 16
- القيروان 10،5
- القرج 30،26
- قسنطينة 27
- القيروان 30
- قرقنة 45،44

– ك –

- كريت 1
- الكاف 6
- كورسيكا 3
- كربلاء 54

– م –

- المغرب 58،53،14،12،5
- مجاز الباب 16
- المدرسة الباشية 26

- مصر 36،39،48
- المرناقية 46
- ماطر 46
- مكة المكرمة 53
- منوبة 57

- ن -

- النمسا 4
- نيانو 16
- نابل 32

فهرس المحتويات :

المحتويات	الصفحة
المختصرات	
شكر وتقدير	
الإهداء	
مقدمـــــــــة	أ- ج
الفصل الأول : أوضاع تونس قبل وصول حمودة باشا إلى الحكم	**1-21**
المبحث الأول : الأوضاع السياسية	1-8
المبحث الثاني : الأوضاع الاقتصادية	9-14
المبحث الثالث: الأوضاع الاجتماعية	15-17
المبحث الرابع : الأوضاع الثقافية والدينية	18-21
الفصل الثاني : سيرة حمودة باشا والعوامل المؤثرة في تكوين سياسته	**22-36**
المبحث الأول : سيرة حمودة باشا	22-25
المبحث الثاني : العوامل المؤثرة في تكوين سياسة حمودة باشا	26-36
الفصل الثالث : مظاهر سياسة حمودة باشا	**37-58**
المبحث الأول : ميدان الحكم والإدارة	37-41
المبحث الثاني : الميدان العسكري والأمني	42-45
المبحث الثالث : الميدان الاقتصادي	46-53
المبحث الرابع : الميدان الاجتماعي والصحي والثقافي	54- 58
الخاتمة	**59-60**
الملاحق	**61-68**
مصادر ومراجع	**69-74**
الفهارس	**75-90**